المجلس العربي
للعلوم الاجتماعية
Arab Council
for the Social Sciences
Conseil Arabe
pour les Sciences Sociales

المجلس العربي للعلوم الاجتماعية

سلسلة أوراق العمل

التراث الطبيعي والثقافي ودوره في تنمية الاقتصاد السياحي

حالة: واحات درعة وتافيلالت (المغرب)

– عبد اللطيف الخليفي –

ورقة عمل رقم 14

تموز/ يوليو 2020

التراث الطبيعي والثقافي ودوره في تنمية الاقتصاد السياحي

حالة: واحات درعة وتافيلالت (المغرب)

– عبد اللطيف الخليفي –

سلسلة أوراق عمل المجلس العربي للعلوم الاجتماعية

ورقة عمل رقم 14

تموز/يوليو 2020

الرجاء إرسال المراسلات إلى:

عبد اللطيف الخليفي- أستاذ زائر في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في أكادير

Khalifi2010@hotmail.com

© المجلس العربي للعلوم الاجتماعية 2020

جميع الحقوق محفوظة

نشر هذا العمل للمرة الأولى في تموز/يوليو 2020.

إنّ هذا العمل متوفّر تحت رخصة المشاع الإبداعي نَسب المصنَّف 4.0 دولي (CC By 4.0). وبموجب هذه الرخصة، يمكنك نسخ، وتوزيع، ونقل، وتعديل المحتوى بدون مقابل، شرط أن تنسب العمل لصاحبه بطريقة مناسبة (بما في ذلك ذكر إسم المؤلّف، وعنوان العمل، إذا انطبقت الحالة)، وتوفير رابط الترخيص، وبيان إذا ما قد أجريت أي تعديلات على العمل. للمزيد من العلومات، الرجاء مراجعة رابط الترخيص هنا: https://creativecommons.org/licenses/by/4.0

إن الأفكار والآراء الواردة في هذا العمل هي آراء المؤلف/ة ولا تعبّر بالضرورة عن وجهات نظر المجلس العربي للعلوم الاجتماعية، ولا تلزمه بها.

لمحة عن سلسلة أوراق العمل

تهدف سلسلة أوراق عمل المجلس العربي للعلوم الاجتماعية إلى نشر أوراق أكاديمية جديدة ومثيرة تخصّ المجال والمنطقة، واستعراض أفكار من خلال المناقشة العلمية. ويرحّب المجلس العربي للعلوم الاجتماعية بالأوراق التي تعالج مسائل ذات طبيعة موضوعية أو نظرية أو منهجيّة أو فنيّة، والتي تعتمد مقاربات إمبيريقية، أو نظرية، أو الإثنين معًا. ويستقبل المجلس العربي للعلوم الاجتماعية الأوراق باللغة العربية، والإنجليزية، والفرنسية .

المجلس العربي للعلوم الاجتماعية
بناية علم الدين، الطابق الثاني
شارع جون كينيدي، رأس بيروت
بيروت، لبنان
هاتف: 009611370214
www.theacss.org

الملخّص

يُعدّ التراث بمختلف عناصره ومكوناته الطبيعية والثقافية، رأسمالًا تنمويًّا، يمكن استثماره وتوظيفه في العديد من المجالات والقطاعات الاجتماعية والاقتصادية، لا سيّما في ما يتعلق بالاقتصاد السياحي الذي يُعدّ المستهلك الأول للمنتجات التراثية. وقد نجحت دولٌ عدّة حافظت على مواردها التراثية وثمنتها بالشكل المناسب، في بناء اقتصاد سياحي متميز على المستوى العالمي.

تسعى هذا الورقة إلى تشخيص واقع التراث الطبيعي والثقافي للواحة المغربية وتبيان أهميته في تنمية الاقتصاد السياحي في الجنوب المغربي (درعة وتافيلالت). منهجيًّا، تنبني الورقة على نتائج دراسة ميدانية، اعتمدنا فيها أدوات منهجية متنوعة؛ وتتبعنا خلالها مراحل علمية وعملية عدة من دراسة بيبليوغرافية، وبحث إحصائي، وعمل ميداني؛ كما وظفنا فيها مجموعة من التقنيات الكرطوغرافية والإحصائية.

الكلمات المفتاحية: واحات درعة وتافيلالت – التراث الطبيعي والثقافي – التثمين - الاقتصاد السياحي - التنمية الترابية.

التراث الطبيعي والثقافي ودوره في تنمية الاقتصاد السياحي

حالة: واحات درعة وتافيلالت (المغرب)[1]

مقدمة

يكتسي التراث[2] أهمية بالغة عند مختلف الأمم والشعوب، باعتباره ذاكرة جماعية تختزل هوية الإنسان وثقافته، وشاهدًا على حضاراته وإنجازاته؛ كما أنه ثروة مهمة تشمل الموارد التراثية التي لها قيمة عالية من الناحية العلمية أو الجمالية أو الفنية. كما أن للمنظومة البيئية دورًا في تشكيل تراث طبيعي مهم عبر العصور، تستغله المجموعات البشرية بأشكال مختلفة، وتستفيد منه لتلبية متطلباتها وتنمية قطاعاتها الإنتاجية.

يشكل التراث بمختلف مكوناته الطبيعية والثقافية، موردًا أساسيًّا يمكن استثماره وتوظيفه في تنمية العديد من المجالات والقطاعات الاجتماعية والاقتصادية. وقد نجحت دولٌ عدة حافظت على مواردها التراثية وثمنتها بالشكل المناسب، في بناء اقتصاد سياحي متميز، لتصبح بذلك وجهات رائدة على المستوى العالمي كفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وتركيا وغيرها.

ويحتل الوطن العربي مكانة متميزة في ما يخص حجم التراث وأهميته، حدَّ أن منظمة اليونسكو أقدمت على تصنيف معالم ومواقع عدة فيه ضمن لائحة التراث العالمي (أكومي وفاتح 2008، 641)، لكن لم تفلح إلا بلدان قليلة في استثماره. ويعدّ المغرب من الدول التي تولي أهمية للتراث، وعيًا منه بمكانته كرأسمال قابل للتوظيف في العديد من القطاعات، حيث سُخّرت للاهتمام به مجموعة من الاستراتيجيات والبرامج (الدكاري 2019، 195).

يحتلّ القطاع السياحي في المغرب مكانة بارزة ضمن الأنشطة التي ترتكز على التراث في مشاريع التنمية (العباسي 2019، 211)، بفضل غنى التراث الوطني، وبحكم الأولوية التي حظي بها هذا القطاع ضمن المخططات التنموية، وذلك منذ منتصف ستينيات القرن الماضي، في إطار برامج إعداد المناطق ذات الأولوية السياحية (ZAP)[3]، ومشروع تنمية السياحة الجبلية (1984-1991)، مرورًا

باستراتيجية لتنمية السياحة القروية (2003-2005)؛ وصولًا إلى رؤية 2020 التي تهدف إلى جعل المغرب ضمن الوجهات السياحية العشرين الأولى عالميًّا، بمضاعفة حجم القطاع، وبتنويع المنتوج السياحي الوطني وتأهيله.

ودفع الوعي بأهمية السياحة في تنمية الاقتصاد الوطني إلى ضرورة التفكير في تنويع المنتوج السياحي بمقاييس تتماشى مع طلبات الزبناء المحتملين. فإذا كان التوجه خلال القرن الماضي مركزًا على السياحة الشاطئية والسياحة الثقافية للمدن العتيقة؛ فإنّ منذ بداية الألفية الثالثة اتجه المغرب إلى تنمية السياحة في المجالات الريفية خصوصًا في الواحات التي أصبحت تستقطب أعدادًا مهمة من الزبناء (حليم 2010)، باعتبارها مجالات مهمة في الجولات السياحية، نظرًا إلى غنى المنتوج الذي تقدمه، والذي يختلف عن المنتوج السياحي الشاطئي الكلاسيكي، وكذلك عن المنتوج السياحي الجبلي الذي بدأ الاهتمام به منذ العام 1982 في إطار مشروع الأطلس الكبير الأوسط (Projet Haut Atlas Central) وإنشاء مركز تكوين المرشدين الجبليين في قرية تابانت بوادي بوكماز (Aït Hamza 1999; Popp et al; Moudoud 2000). وهكذا "فاكتشاف الواحات وما تزخر به من مؤهلات وموارد تراثية تشكّل قيمة للمنتوج السياحي وهو ما سيشكّل منعطفًا مهمًّا في تاريخ السياحة الوطنية"(Aït Hamza 2002, 132).

يأتي الاهتمام بالسياحة في الواحات بهدف إغناء المنتوج السياحي الوطني، وكذا تثمين الموارد التراثية التي تحتضنها هذه المجالات؛ إلى جانب منح فرص لتنويع الاقتصاد الواحي الذي ظل منحصرًا في الزراعة والرعي منذ الاستعمار بعدما تراجع المستوى الاجتماعي لساكنتها ارتباطًا بأفول أنشطة اقتصادية عدة كالتجارة الصحراوية، والحرف التقليدية...إلخ (رامو وبوعوينات 2016، 15).

في هذا السياق، تعدّ واحات الجنوب المغربي[4] (درعة وتافيلالت) من أهم المجالات الجغرافية في المغرب، التي تزخر بتراث طبيعي وثقافي غني ومتنوع، استقطب الاهتمام الوطني والدولي، وهو ما سمح بالإقرار بقيمة كنوزه الفريدة والمتميزة، خصوصًا على المستوى البيئي والجمالي والفني والتاريخي. وهذا ما يفسّر اختيار هذا المجال الشاسع كواحدة من المناطق ذات الأولوية في الإعداد السياحي في العام 1965؛ ويضاف إلى ذلك تصنيف قصر أيت بن حدو تراثًا إنسانيًّا من طرف اليونسكو منذ العام 1987.

منح هذا الاهتمام بمكانة الموارد التراثية في واحات الجنوب المغربي للمجال تميزًا وإشعاعًا دوليًّا ووطنيًّا ساهم في التعريف بالمنطقة، وتسويق صورتها السياحية. ونتيجة لذلك، وبفضل حيوية الفاعلين السياحيين المحليين، أساسًا، استطاع هذا المجال أن يصبح وجهة سياحية متميزة على المستوى الوطني، حيث تزايد عدد الزوار والسياح الوافدين، وتنامى حجم الاستثمارات الفندقية والأنشطة المرتبطة بها.

أولًا: تقديم منهجي حول التراث في واحات في الجنوب المغربي

1. السياق العام

شهد القرن العشرون تطورًا في مفهوم التراث، وازدياد الوعي بأهميته كملك مشترك "بالشعور" لكل البشرية. ويتجسد ذلك من خلال إبرام العديد من المواثيق الدولية[5] التي تعنى بالحفاظ على التراث وصيانته، بالإضافة إلى العديد من الاتفاقيات والتوصيات - كاتفاقيتَي لاهاي وباريس- والتي تهدف إلى ضمان الحفاظ على التراث واستدامته. إلا أن الملاحظة الأساسية التي نسجّلها هي أن كلمة التراث ظلت ولفترات طويلة، ولا تزال، مرادفًا لكل ما ورثناه من الأجداد ونسعى للحفاظ عليه ونقله للخلَف، من معالم تاريخية ومواقع أثرية... إلخ.

كما ازداد الوعي على المستوى العالمي، بأهمية التراث كمكوّن من مكونات الهوية الوطنية، وجزء من تراث الانسانية جمعاء. أما على المستوى الوطني، فقد أسندت الدولة إلى وزارة الثقافة مهمّة الصون والحفاظ على التراث عبر مديرية التراث؛ ما سمح بتصنيف العديد من العناصر التراثية في بلادنا تراثًا إنسانيًّا عالميًّا[6] أو تراثًا وطنيًّا. ليعرف بذلك مفهوم التراث تطورًا ملموسًا، وينتقل من مقاربة فردية أو جماعية إرادية يحركها الحنين لتراث الأجداد، إلى مقاربة مؤسساتية تنبني على القوانين والمساطر للحفاظ على الهوية الوطنية.

من خلال هذا التعريف، يتضح أن التراث مفهوم له استمرارية، إذ لم يعد ينحصر في ما خلّفه الآباء، بل امتد ليشمل العناصر الطبيعية، التي تستدعي لقيمتها الاستثنائية الحفاظ والصيانة، من تشكيلات جيولوجية وبيولوجية ذات قيمة استثنائية، ومواقع طبيعية كالمنتزهات وغيرها من المناطق الرطبة والواحات. كما يشمل التراث عناصر مادية ومعنوية كالعادات والتقاليد، والأشكال الفريدة في التنظيم والإنتاج وأساليب العيش واستغلال المجال. وهنا امتدت المقاربة المؤسساتية في المغرب للحفاظ على

التراث الطبيعي من خلال مبادرات قانونية لكن مشتتة بين مؤسسات عدة (إدارة المياه والغابات بالنسبة للتراث البيولوجي الغابوي، ووزارة الطاقة والمعادن بالنسبة للتراث الجيولوجي).

وعليه، أصبح التراث باتساع عناصره ومكوّناته وتنوعها، يشكل موردًا وأداة مهمة لتقوية الهوية، وهي عناصر تعطي معنى حقيقيًّا للحيّز الترابي، وقد بدأ هذا التوجه يتطور في بلادنا على مستوى سياسات إعداد التراب من خلال الدراسات العديدة التي تمّ إنجازها (Jennan et Al. 2007) منذ العام 1998، وكذا برامج إحياء وردّ الاعتبار للتراث بمختلف مكوناته[7]، والتي أكدت في معظمها أهمية التراث كمورد ترابي يقتضي التثمين؛ على غرار العديد من البلدان التي يشكل فيها التراث موردًا ترابيًّا، ومصدرًا لقيمة مضافة اقتصادية واجتماعية وثقافية وجمالية. ففي لندن مثلًا تشكل الصناعة الثقافية قطاعًا اقتصاديًّا حيويًّا يساهم بحوالى 10 في المئة من الناتج الداخلي الخام، ويشغل أكثر من 20 في المئة من قوة العمل (شارلز 2007، 30).

في هذا السياق، ومع الأخذ في الاعتبار أهمية التنمية السياحية من خلال تثمين التراث في الواحات، تعددت اهتمامات الباحثين بمواضيع وإشكاليات تتعلق بهذه المجالات، سواء في إطار أبحاث أكاديمية (Bencherifa 1993; Aït Hamza 1999؛ البوزيدي 1994؛ أوجامع 1999؛ مهدان 2007؛ الدكاري 2008؛ بوعوينات 2009؛ رامو 2009؛ حليم 2010)، أم من خلال الدراسات والتقارير التي يشرفون عليها أو يساهمون فيها، والتي انصبت حول مواضيع متعددة من قبيل: التحولات السوسيومجالية، وتدبير الموارد المائية، والسياحة، والتنمية وإعداد المجال، والهجرة، والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي...، مع اهتمام متزايد منذ عقدين بالمسألة البيئية والتنمية المستدامة.

ويمكن أن ندرج هنا، دراسة الباحثين "حسن رامو وأسماء بوعوينات" حول بعض تجارب التثمين السياحي للتراث في واحات المغرب الصحراوي، مع إبراز آفاق التثمين في واحات أسا-الزاك؛ وقد بيّنا أهمية ما تزخر به هذه الواحات من تراث ثقافي غني ومتنوع، كما خلصا إلى أن تثمين التراث الثقافي وتوظيفه تنمويًّا في هذه المناطق لا يزالان في بداياتهما مقارنة بواحات أخرى استطاعت حسب الباحثين أن تخلق منتوجًا سياحيًّا خاصًّا بها.

2. الإطار الإشكالي والمنهجي

في هذا السياق، جاء اهتمامنا بموضوع التراث الطبيعي والثقافي في الواحات، انطلاقًا من كونه ذاكرة جماعية مختزلة للمجال والمجتمع المحلي. وبالرغم من الحماية القانونية التي تضمّنها بعض النصوص[8] للتراث، فقد شهد تدهورًا كبيرًا خصوصًا على مستوى الأصناف المعمارية والأركيولوجية؛ فجلّ المدافن الماقبل الإسلامية تعرضت للتخريب. ولحق التدهور مواقع عدة للنقوش الصخرية. أما معظم المنقولات التراثية (المخطوطات) فتعرضت للسرقة والضياع. كما أن المعمار (قصور، ومعالم تاريخية، ومخازن جماعية) أضحى مهددًا بسبب عوامل بشرية وطبيعية عدّة، علاوة على تدهور التراث الجيولوجي والحفريات التي أصبحت موضوع تجارة دولية نشيطة.

وعليه، لا يجب أن ننظر إلى التراث نظرة أحادية مقتصرة على الجانبَين الجمالي والفني فقط، أو حصر النقاش حوله في مقاربة الصون والحفاظ، بل وجب ربطه بالجانب التنموي عبر استثماره خدمة للاقتصاد المحلي والوطني، وذلك بتطوير الصناعة التقليدية وتأهيل الصناعة السياحية والسينمائية، التي أضحت تشكل مرتكزًا تنمويًّا في منظومة الاقتصاد الواحي.

بالنظر إلى البعدَين الاجتماعي والاقتصادي لواحات الجنوب المغربي، لا يمكن المطالبة بالحفاظ على التراث الثقافي على حالته الجامدة، من دون تثمينه وإدراجه في الدورة الاقتصادية واعتباره موردًا للدخل. وتمثّل حالة القصبات السياحية في هذه المناطق أهم النماذج التراثية الحية التي تبرز أهمية التثمين في الحفاظ على التراث؛ فبفضل النشاط السياحي تم ترميم هذه القصبات وحمايتها من التلاشي والاندثار؛ وفي طبيعة الحال ليس من خلال أي سياحة بل سياحة مستدامة انتقائية تنبني على التراث والثقافة كنشاط مثمِن وليس كسياحة كثيفة مستهلكة للتراث (رامو وبوعوينات 2017، 47).

تأسيسًا على ما سبق، تسعى إشكالية هذه الورقة إلى دراسة مدى مساهمة الغنى التراثي للواحة في المغرب في تنمية السياحة، أيّ مدى ارتباط تطور النشاط السياحي بواحة معينة بوجود مقومات تراثية بها، وذلك من خلال محاولة الغجابة عن التساؤلين الآتيين:

- ماهي أبرز مكونات وعناصر التراث الطبيعي والثقافي التي تزخر به واحات درعة وتافيلالت؟
- وما دور التراث في تنمية الاقتصاد السياحي في المنطقة؟

ونفترض أن الواحات التي تشهد تركزًا للمواقع التراثية خصوصًا المصنفة منها، تعرف طلبًا واستثمارًا سياحيًّا مهمَين أكثر من الواحات التي تحتضن مقومات تراثية أقل. كما نفترض أن الفاعلين السياحيين يعملون على توظيف المقومات التراثية في إشهار المنطقة، ما ينعكس على التنمية السياحية بها.

تروم هذه الدراسة، إلى تشخيص واقع التراث الواحي[9] وإبراز مكانته في تنمية الاقتصاد السياحي في واحات الجنوب المغربي[10](درعة وتافيلالت)، انطلاقًا من تقديم بعض نتائج دراسة ميدانية اشتغلنا عليها في إطار"برنامج زَمَالآت" ما بعد الدكتوراه بين العامين 2018 و2019؛ وتشكل فيها المقاربة الجغرافية الكمية والنوعية، والمنهج الاستقرائي مدخلًا منهجيًّا رئيسًا.

تتمثل آليات العمل هنا، في الدراسة البيبليوغرافية لمجموعة من الأبحاث والدراسات والمقالات المختلفة التي تعنى بمجالنا، إضافة إلى بحث ميداني يهم مختلف الفاعلين والزوار على السواء.

- في مرحلة أولى: عملنا على جمع المعطيات والإحصائيات من الجهات المعنية، كممثليات وزارة السياحة في كل من ورزازات والراشيدية، ومديرية التراث الثقافي في الرباط، وكذا مركز ترميم وتوظيف التراث المعماري في المناطق الأطلسية وما وراءها في ورزازات (CERKAS)؛ كما قمنا بزيارات لمجال البحث قصد معاينة الظاهرة المدروسة، بغرض جرد المقومات التراثية وملاحظة مدى ترابطها بالنشاط السياحي.

- في مرحلة ثانية: أجرينا مقابلات مع بعض الفاعلين العموميين والمستثمرين الخواص الذين لهم صلة مباشرة بقطاعي التراث والسياحة في المنطقة[11]، للحصول على معطيات يمكن أن تساعدنا في الدراسة.

إلى جانب المقابلات، قمنا بإنجاز استبيان عن طريق استمارات خلال فترات زمنية متفرقة (يناير، وأبريل، ويوليو) من العام 2019، وذلك عبر ملء عينة بحث مكونة من 600 استمارة، 500 منها مع السياح الأجانب (80 في المئة) والزوار المغاربة (20 في المئة)، وشملت سياح الرحلات المنظمة وغير المنظمة. فيما خصصت 100 استمارة للمؤسسات الفندقية المصنفة وغير المصنفة من الفنادق ودور الضيافة والمخيمات المآوي والقصبات. وقد وزعنا هذه العينة مجاليًّا حسب اعتبارات مرتبطة بحجم تركز الاستثمارات الفندقية والترددات السياحية بكل موقع من مجال البحث[12]، كما يأتي: 34 في

المئة في إقليم ورزازات، 27 في المئة في إقليم الراشيدية، و22 في المئة في إقليم تنغير، و17 في المئة في إقليم زاكورة.

كانت مواضيع المقابلات والاستمارات مرتبطة أساسًا بمدى ترابط التراث بالعرض والطلب السياحيين، بهدف التعرف إلى مكانة التراث الواحي في تأهيل الاقتصاد السياحي من حيث استقطاب السياح وجلب الاستثمارات.

- كمرحلة ثالثة وظفنا تقنيات كرطوغرافية عدة، عبر استخدام برنامج نظم المعلومات الجغرافية (Arc Gis)، وتوظيف صور القمر الاصطناعي سبوت عالية الجودة، بغرض تتبع الظاهرة مجاليًّا لمعرفة مدى تطابق أو تجاور الاستثمار مع وجود مقومات تراثية في الواحة.

ونهدف عبر ما ذكرناه، إلى خدمة التراكم المعرفي حول الواحات المغربية، عبر تقديم نتائج وخلاصات يمكن أن تسهم بشكل أو بآخر في بلورة إطار تفسيري لواقع التراث الواحي، وإبراز مدى أهمية توظيفه في الاقتصاد السياحي، خدمة للتنمية الترابية في المجالات.

3. الواحة بصفتها مجالًا للدراسة

تعددت التعاريف التي همت الواحة بتعدد الباحثين والمختصين (بلفقيه 1978؛ أيت حمزة 1993؛ أزهار 1993...)، وقد أكد الباحث (Bencherifa 1993) أن مفهوم الواحة "حقيقة لم يحصل حولها إجماع وأن كل تعريف يبقى مجرد اتفاق".

وعليه، يمكن اعتبار الواحة مجالًا أخضر وسط محيط قاحل، يعتمد على شريان المياه كعصب للحياة، وتتميز بمناخ محلي يساعد في تنويع أنشطتها الزراعية، وتستقر فيها كثافة سكانية مهمة تتميز بتنوع أجناسها البشرية. وثمّة أصناف عدّة من الواحات في العالم، انطلاقًا من موقعها ونشأتها أو حسب طرق استغلالها للموارد المائية والطبيعية (Ouhajou, 1986, 1996; Aït Hamza, 1991) .

كما أن الواحة "لا تقتصر على كونها تركيبة طبيعية فحسب، بل تمثل مشهدًا تراثيًّا وثقافيًّا إنسانيًّا؛ باعتبارها وُجدت من لا شيء في بيئة الندرة بامتياز، وتعطي كل شيء من خلال منتجاتها الأصيلة، ذات القيمة المضافة العالية" (الفاسي، 2016، 213). إلى جانب ذلك، تشكل البيئة الواحية بكل مكوناتها موروثات سواء من الناحية الطبيعية أم البشرية، ويتجسد ذلك في الهندسة المعمارية وفي شكل السكن،

وفي نمط الاستغلال والإنتاج، فضلًا عن أنظمة السقي التي شكلت إحدى ركائز التنظيم الاجتماعي في مرحلة تاريخية معينة (محي الدين 1999، 76).

تعدّ الواحة أيضًا "مجالًا نموذجيًّا للتعايش بين التنافس والتكامل"(أيت حمزة 1993، 77)؛ ما جعلها رقعة جغرافية متميزة من التراب المغربي، بفضل ما تتسم به من خصوصيات طبيعية وبشرية فريدة مستمدة من عناصر معقدة ومتنوعة تشمل: الإنسان، والمناخ، والماء، والأرض، والنبات، والحيوان؛ وتشكل مجتمعة منظومة مترابطة، كل عنصر منها له علاقة وطيدة بالعناصر الأخرى.

ويمكن اعتبار الواحات المغربية مجالًا خصبًا للبحث والدراسة، لكونها وسطًا طبيعيًّا وثقافيًّا استثنائيًّا، فهي تغطي مساحة شاسعة تقدر بحوالى 226 ألف كلم²، تمتد من فكّيك على الحدود المغربية الجزائرية إلى واحات واد نون ودرعة السفلى، مرورًا بأحواض واحية كبرى كدرعة وزيز، والواحات الجبلية الممتدة على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير شمالًا.

كما تمتد هذه الواحات إداريًّا، على أربع جهات (الشرق، ودرعة تافيلالت، وسوس ماسة، وكلميم واد نون)، وتهم ما يقارب 14 في المئة من ساكنة المغرب أي ما يقارب 4 مليون نسمة حسب إحصاء 2014. وتمّ اختيار واحات درعة وتافيلالت كمجال للدراسة، باعتبارها أهم حوض واحي في شمال إفريقيا، إن على مستوى المساحة أم السكان أم الدينامية السياحية، هكذا فاختيارنا لهذه الواحات جاء بناء على اعتبارات عدة منها:

- انتماؤها لوحدة جغرافية متناسقة، ذات خصائص طبيعية متنوعة وموحدة، ومنظومة اجتماعية متجانسة؛
- توفرها على موارد تراثية طبيعية وثقافية غنية ومتميزة؛
- الاعتراف الوطني والدولي بقيمة مواردها التراثية؛
- التدهور الذي لحق مكونات وعناصر التراث الواحي؛
- الدينامية السياحية التي تشهدها، وتراجع مردودية النشاط الفلاحي بسبب التقلبات المناخية والجفاف وزحف للرمال، والهجرة القروية والدولية.

الرسم 1: خريطة موقع الواحات في جهة درعة - تافيلالت ضمن التقسيم الترابي للمغرب

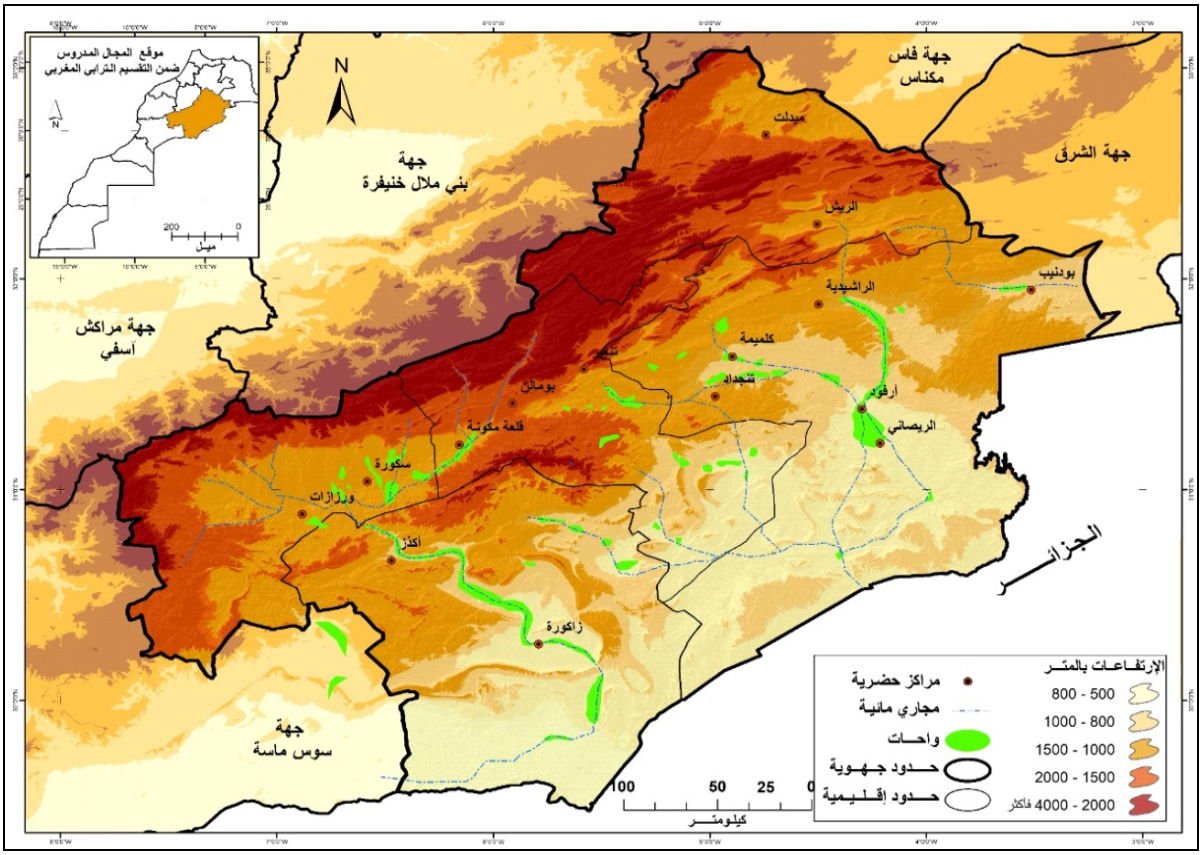

المصدر: عمل شخصي بالاعتماد على النموذج الرقمي للارتفاعات DEM وخريطة التقسيم الجهوي للمغرب للعام 2015، ثم العمل الميداني للعامين 2018-2019.

ثانيًا: واقع التراث الطبيعي والثقافي ومكانته السياحية في المجال الواحي

تزخر واحات الجنوب المغربي بموارد تراثية طبيعية وثقافية متعددة، ساعدتها في ذلك العديد من العوامل الجغرافية المرتبطة بالموقع والمناخ، والعوامل التاريخية المتمثلة في تلاقح مجموعة من الحضارات والثقافات التي توالت عليها، وتركت بصماتها التراثية المادية وغير المادية راسخة وبارزة على المجال وعلى مكونات المجتمع الواحي؛ ما أهّل التراث الواحي لأن يجلب الاهتمام الوطني والدولي، ومن ثم الاسهام في التعريف بالمنطقة وتسويق صورتها السياحية.

1. تعدُّد عناصر التراث الطبيعي إغناء للمنتوج السياحي

يراد بالتراث الطبيعي "كل موقع أو آثار من المآثر التي خلفتها الطبيعة أو منطقة أو تشكيل طبيعي، وكذا كل مكون من المكونات والمناظر الطبيعية التي تكتسي طابعًا استثنائيًّا"[13]. من خلال الملاحظة الميدانية وجرد البيبليوغرافيا يشتمل هذا الصنف من التراث على المواقع الجيولوجية الاستثنائية التي تحوي الحفريات[14] والمستحثات[15] ومواقع الصخور الصهارية، والمواقع الجيومرفلوجية كالتشكيلات الجبلية (كجبل صاغرو ووكنات)، والخوانق (دادس وتودغى)، والأودية (زيز وغريس ودرعة وتودغى)، إلى جانب العروق المنتشرة في المجالات المنفتحة على صحراء جنوبًا كعرق الشبي في تافيلالت وعروق الشكاكة وليهودي في محاميد الغزلان.

كما يضمّ التراث الطبيعي في هذه الواحات، مواقع التنوع النباتي والحيواني التي صنفت العديد منها كمواقع ذات أهمية بيئية وإيكولوجية (SIBE) [16] في العام 2000، وتهم مواقع خوانق تودغى وفج تشكا، ووادي تلوات، وبحيرة السرجي بمرزوكة، وهي المواقع الأكثر جذبًا للزوار والاستثمارات السياحية. إضافة إلى مواقع وادي ميرت، وجبل صاغرو، والخنك، وموقع أمسيصي، وبحيرة سد المنصور الذهبي، وبحيرتي إسلي وتسليت.

فضلًا عن ذلك، نورد في خانة التراث الطبيعي المنتزهات والمحميات التي تؤدّي دورًا مهمًّا في حفظ التوازنات الإيكولوجية في المنطقة، ومنها منتزه إيريقي الوطني الذي أنشئ منذ العام 1994، والمحمية الإحيائية الخاصة بالغزلان في كل من الراشيدية ومحاميد الغزلان، ومحميات طائر الحباري التي تنتشر على مساحات شاسعة في كل من مناطق بوذنيب وأمسيصي بواحات تافيلالت، ومناطق محاميد الغزلان وفزواطة في واحات درعة.

إلى جانب التراث الطبيعي، يزخر المجال الواحي "بمكونات ثقافية أخرى يشكل فيها الإنسان ومنتجاته الأصيلة مرتكزًا أساسيًّا، حيث تعطي للمعالم والأمكنة دلالاتها في الزمن، وتتحول معه بصمات الإنسان بالواحات إلى تراث ودليل شاهد، يمكن أن يجدد كلما توفرت الشروط والظروف المناسبة" (حليم 2010).

2. التراث الثقافي ركيزة أساسية للسياحة في المنطقة

يتمثل التراث الثقافي في "كل الممتلكات الثقافية المادية وغير المادية التي خلفتها الأجيال المتعاقبة منذ عصور ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا، والتي لها فائدة وقيمة بالنسبة للحضارة أو الإنسانية وتستلزم المحافظة عليها ونقلها للأجيال المقبلة"[17]؛ ونميز فيه بين التراث المادي واللامادي.

تحتضن واحات درعة وتافيلالت التي تُعدّ من أقدم المجالات التي عرفت الاستقرار البشري في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية في المغرب (Mezzine 1987؛ البوزيدي 1994) تراثًا ثقافيًّا استثنائيًّا، باعتباره فسيفساء وخزانًا وذاكرة جماعية لمختلف مكونات التراث الثقافي:

- **التراث المادي:** يهمّ كل المعالم الأثرية أو المنحوتة التي أنتجتها المجتمعات الواحية سواء كانت منقولة أم تابثة. ونميز هنا بين أصناف عدّة:

- **التراث الأركيولوجي:** الشاهد على تاريخ المنطقة التي تُعدّ "جنة الأركيولوجين" بالنظر إلى آلاف مواقع النقوش الصخرية والمدافن ما قبل الإسلامية المنتشرة في مواقع عدة منها: مواقع وادي تمنارت بطاطا، ومحطة أقا الصخرية، ومحطات فم زكيد-زاكورة، لا سيّما مواقع: فم الشنا بتنزولين، وموقع أيت واعزيق بتازارين، وموقع الطاوس بالراشيدية، ومواقع أخرى بألنيف والنقب في حوض المعيدر.
- **التراث التاريخي**: يمتد من خلال المدن الوسيطية التي كانت تؤدّي دورًا محوريًّا في التجارة الصحراوية، خصوصًا الموقع الأثري لمدينة سجلماسة التاريخية التي تعد ثاني مدينة إسلامية شيدت في الغرب الإسلامي بعد مدينة القيروان في تونس (تاوشيخت 2019، 263)، وموقع تيدري وحصن تازكّورت في واحات درعة. وتسمح هذه المواقع برسم مسارات سياحية على طول طرق التجارة الصحراوية.
- **التراث المعماري:** المتمثل بالأساس في القصور والقصبات[18] التي تتميز بهندستها المعمارية التقليدية المبنية بمواد محلية (تراب، وحجر، وقصب، وتبن)، والتي تلخص تاريخ الواحات باعتبارها "الفن الوحيد من بين كل فنون شمال إفريقيا التي حافظت من خلاله الواحة على بصمات كل الحضارات التي سجلت في عالم الأمازيغ، والتي لها دلالة تاريخية عامة" (Terrasse 1938; Hensens 1962; D.J. Meunié 1963). بل إن هذا التراث المعماري الذي يقدّم نموذج السكن الرئيسي "دفع بعدد من المهتمين منذ بداية القرن العشرين،

إلى أن يخصّوه بدراسات دقيقة وغنية، إلى حدّ اعتباره نموذجًا خاصًا يحق له أن يسمو إلى مستوى التراث الوطني. (Aït ; Terrasse 1938; Montagne 1962 ,1951 D. Jacques-Meunié 1938, 1939, 1963; Hamza 1992)" (أيت حمزة 2016).

كما يضمّ التراث الثقافي المعالم الدينية كالزوايا التي أدّت دورًا فعالًا في صنع تاريخ المغرب خلال الفترة الممتدة بين القرنين 16م و18م، ومن أهمها الزاوية الناصرية في تامكروت، وزاوية سيدي الغازي في تافيلالت...؛ ومما يقوي التراث الديني بالمنطقة ويجلب الزوار المغاربة أكثر، هو وجود العديد من الأضرحة خصوصًا منها ضريح مولاي علي الشريف في مدينة الريصاني غير بعيد عن أطلال مدينة سجلماسة، إلى جانب عدد من أقطاب الصوفية والعلماء وغيرهم؛ وهذا ما يتقاطع مع عناصر من التراث اللامادي.

- **التراث غير المادي:** يتسم بالغنى والتنوّع نتيجة تلاقح إثني يستمد جذوره من انصهار الثقافات الأمازيغية والعربية والإفريقية المتعايشة في المنطقة، والتي شكلت مجال التقاء بين قبائل ومجموعات بشرية عدة (Mezzine 1987؛ البوزيدي 1994). ويشمل هذا الصنف من التراث عناصر عدة كالمواسم التي تتباين بين الفلاحية (موسم الورود في قلعة مكونة) والدينية (موسم الزاوية الناصرية) والاجتماعية –الاقتصادية (إميلشيل) والفنية (موسم إمغران). يُضاف إلى ذلك تلاقح أنواع تراثية فنية عدة من رقصات جماعية (أحواش، وأحيدوس، والركبة، والرسمة وغيرها)، وموسيقى (كْناوة، وملحون الفيلالي...إلخ) التي لها شهرة وطنية ودولية، وتعبر عن غنى الثقافة والموروثات الفنية وعن التشكيلات القبلية الموجودة في الواحات.

إلى جانب التراث الغنائي المحلي، نسجل حضور المهرجانات حديثة العهد التي تُعدّ "تظاهرات ثقافية وفنية، تثمّن الإبداع والتراث، وتشكل دعامات أساسية في الجاذبية الثقافية والاقتصادية والسياحية بالمجال"[19]، وأهمها مهرجان الورود في قلعة مكونة ومهرجان التمور في أرفود، ومهرجان موسيقى أعالي الجبال في إميلشيل، ومهرجان أحواش في ورزازات، ومهرجان الرحل وتاركّالت في محاميد الغزلان.

ويشمل أيضًا التراث اللامادي عناصر أخرى مرتبطة بالمعارف والدرايات المحلية، التي تهم التنظيمات الاجتماعية وتدبير الموارد الطبيعية وفق أنظمة وتقنيات غاية في الدقة والإبداع. كما أن تعدد الأقاليم الجغرافية ساهم في تنوع أنماط العيش من حياة جبلية، وحياة في المنخفض محاذاة الأودية، إلى حياة الرعي والترحال في الصحراء، ومن ثمّ تنوع في المشاهد الفلاحية (واحات النخيل، المشارات الزراعية، أنظمة السقي التقليدية، إلخ) والسكنية والعادات والتقاليد؛ وهذا التناقض والاختلاف في المشاهد يشكل دعامة للمنتوج السياحي في واحات درعة وتافيلالت (أوجامع 1999).

3. مكانة التراث الواحي وموقعه في الصورة السياحية في الجنوب المغربي

تتضح مكانة التراث الواحي، من خلال قيمته الفريدة، سواء على المستوى البيئي، في ما يتعلق بحفظ التوازنات البيئية بالمنظومة الواحية؛ أم على المستوى الجمالي والفني، في ما يخص روعة الهندسة التقليدية وحنكة تدبير الإنسان المحلي لمجاله وموارده؛ كما أن توظيف موارده في أنشطة وقطاعات اقتصادية مختلفة كالفلاحة، والصناعة التقليدية، والسياحة، والتجارة...، يحتل مكانة متميزة في هذا المجال.

وعلى هذا الأساس، حصلت الواحات على الاعتراف الدولي والوطني بقيمة تراثها الطبيعي والثقافي، فهي مجال بيو-جغرافي مصنف ضمن محمية المحيط الحيوي لواحات الجنوب المغربي (RBOSM)[20] من طرف منظمة اليونسكو منذ العام 2000، كما أن فيها ثلاثة مواقع مسجلة في لائحة رامسار (RAMSARE)[21]، وأزيد من 12 موقعًا ذا أهمية بيئية وإيكولوجية (SIBE). كما صنف قصر أيت بن حدو تراثًا إنسانيًّا عالميًّا منذ العام 1987م نظرًا إلى روعة هندسته المعمارية، بالإضافة إلى 12 موقعًا تراثيًّا آخر صنِّف ضمن التراث الثقافي الوطني (الرسم 2).

الرسم 2: خريطة أهم المواقع التراثية المصنّفة في واحات جهة درعة- تافيلالت (المغرب)

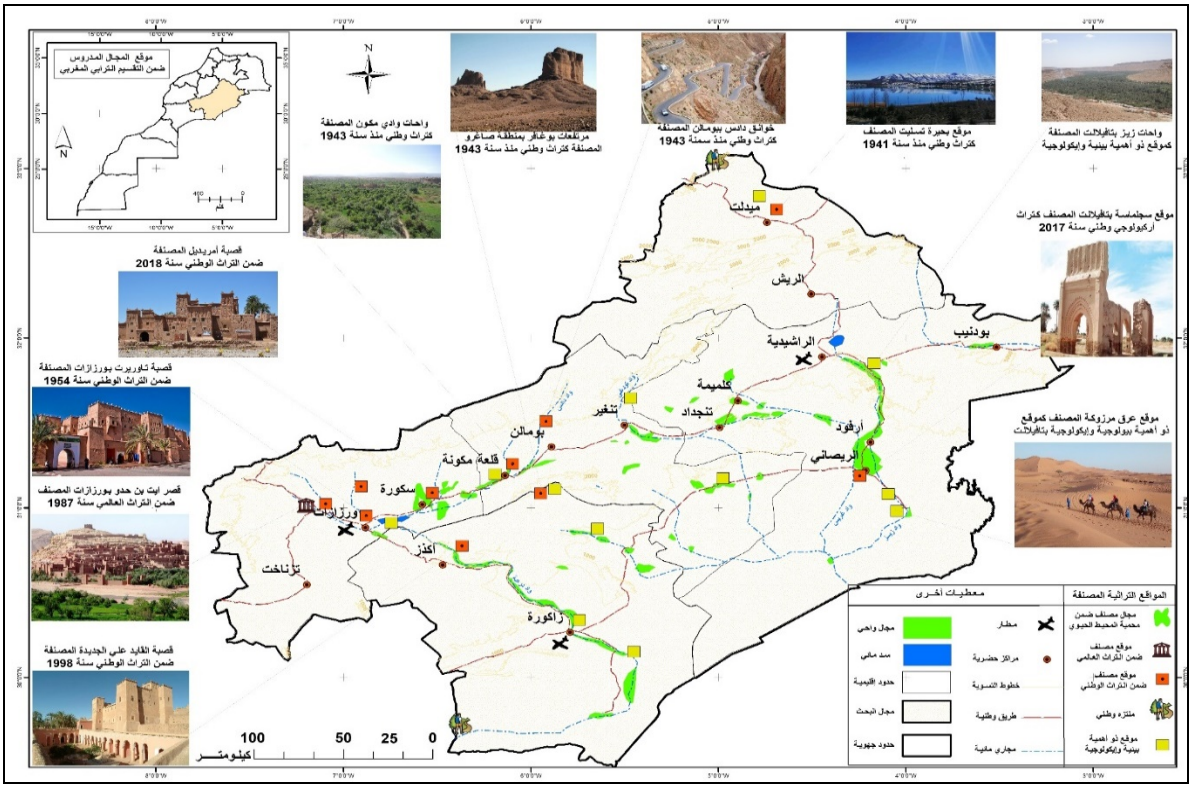

المصدر: عمل شخصي بالاعتماد على النموذج الرقمي للارتفاعات DEM وخريطة التقسيم الجهوي للمغرب للعام 2015، ثم العمل الميداني للعامين 2018-2019.

يشمل الاهتمام الدولي والوطني جلّ العناصر التراثية الموجودة في المجال الواحي، ما يمنح فرصًا حقيقية للفاعلين السياحيين قصد استثمار ذلك في التعريف بالمنطقة وتحسين جاذبيتها السياحية، خصوصًا أنها أصبحت وجهة سياحية مهمة ضمن مسارات السياحة الوطنية والدولية منذ عقود خلت (Aït Hamza 1999; Ramou 2009; Popp et al. 2017)، لما تقدمه من تراث طبيعي وثقافي خاص بنظامها الزراعي وبأشكال التعبير الفني والروحي الذي تختزنه، إلا أنها تشكل في الآن عينه أكثر المجالات الحساسة لمنطق التحول الذي يخترقها (Bencherifa 1993, 12)، والذي يتبدى في جزء منه بتوسع الأنشطة السياحية في الواحات كمجال يترجم التكامل والتنافس (حليم 2010).

شكّل أيضًا التنوع التراثي عاملًا مهمًّا عمل على تأثيث المجال الواحي بمناظر ومشاهد إيكو-ثقافية مختلفة، تعدّ من أهم عوامل الجذب في الصناعة السينمائية، كما تساهم في إغناء المنتوج السياحي وتوفير الظروف المساعدة لممارسة أشكال وأنماط سياحية متعددة كالسياحة الصحراوية، والسياحة

الجبلية، والسياحة الواحية، والسياحة الثقافية، والسياحة السينمائية (الدكاري 2007؛ الخليفي 2017). وهكذا، فتنوع التراث الواحي والاعتراف بقيمته المتميزة، أعطيا لهذا المجال الجغرافي الهامشي إشعاعًا دوليًّا ووطنيًّا، ساهم في التعريف بالمنطقة من جهة، وفي تسويق منتوجاتها وصورتها السياحية[22] من جهة ثانية.

في السياق نفسه، ومن خلال استقراء الوثائق الإشهارية ومواقع المؤسسات الفندقية يتضح أن غالبية المستثمرين المحليين يركزون على التراث المحلي لتسويق وجهة الواحة السياحية. وبتدقيق التحليل، يتّضح أن التراث المعماري والمناظر الطبيعية في الواحات والصحراء هي العناصر الأكثر حضورًا في نصوص الإشهار السياحي، وكأيقونات في الصور الأكثر تداولًا في المواقع (Popp, al, 2017)؛ وهي النتائج ذاتها التي خلصت إليها الباحثة بوعوينات في دراستها للمنطقة 2009.

تأتي في مستوى ثانٍ، المقومات التراثية اللامادية خصوصًا منها المواسم والرقصات والطبخ المحلي والدرايات المحلية لتدبير المياه في الواحة (Aït Hamza, 1992)، ولكن تعرض في مناسبات عدة بشكل فلكلوري مشوّه للتراث المحلي. ونسجّل في الأخير، حضورًا باهتًا للتراث التاريخي بشقه الأركيولوجي أو التاريخي أو التراث الطبيعي الجيولوجي والإحيائي في الصورة السياحية.

بناءً على ما سبق، تبدو صورة التراث الواحي التي يسوقها المستثمرون السياحيون في المنطقة عامة وغير شاملة، لأنها ركزت على الصورة النمطية المتداولة (قصبات وواحات وصحراء)؛ وهمشت العديد من العناصر التراثية الأخرى (التراث الديني والتراث الجيولوجي والنقوش الصخرية...إلخ) التي كان بالإمكان استثمارها في الصناعة السياحية.

هكذا، فغنى التراث الواحي وتميزه، يقتضيان تأسيس صورة سياحية حقيقية ودقيقة، تتمتع بالأصالة وتعرف بالخصوصيات الفريدة للواحات التي تتسم بالتنوع والتكامل. ولن يتأتى ذلك، إلا باعتماد مقاربة مندمجة تشرك جميع الفاعلين المتدخلين في قطاعي التراث والسياحة في المنطقة؛ وذلك بهدف تنمية الاقتصاد السياحي.

ثالثًا: دور التراث الطبيعي والثقافي في تنمية الاقتصاد السياحي في المجال الواحي

1. علاقة التراث الواحي بالاستقطاب السياحي

يشكّل التراث الطبيعي والثقافي مرتكزًا رئيسًا في التنمية السياحية في العديد من بلدان العالم، فقد أقرّت منظمة السياحة العالمية (OMT) بأن التراث والثقافة أصبحا يكوّنان 40 في المئة تقريبًا من أهداف كل الرحلات العابرة للحدود. بل إن الدول التي نجحت في استثمار مواردها التراثية أصبحت وجهات سياحية متميزة.

يؤدّي التراث عمومًا دورًا مهمًّا في عملية الاستقطاب السياحي، وتختلف أهميته من زبون لآخر، بحكم تباين الرغبات والأهداف من السفر، واختلاف التمثلات لمفهوم التراث. فمثلًا "سياح دول شمال أوروبا، يلحون على زيارة الأماكن الحضرية والتاريخية، وبالمقابل، يرتبط التراث بالنسبة لسياح أمريكا الشمالية ارتباطًا وثيقًا بزيارة الأماكن الطبيعية خصوصًا منها المنتزهات الوطنية، إضافة إلى ثقافة الشعوب القديمة، والمتاحف والمهرجانات؛ في حين أن الأماكن الطبيعية تشكل عنصرًا مهمًا للسائح الأسترالي والنيوزيلندي" (Dallen. J et al. 2011).

كما نسجّل أن السيّاح المغاربة خصوصًا منهم الزوار القادمين من المدن الساحلية، يفضلون أكثر عناصر التراث الطبيعي كالكثبان الرملية والمشاهد الطبيعية الصحراوية، مع اهتمام عدد منهم بحضور المواسم الدينية والمهرجانات الثقافية والفنية.

تماشيًا مع ما سبق، وتأسيسًا على نتائج التحريات الميدانية التي شملت أزيد من 500 سائح بمختلف المواقع التراثية بواحات الجنوب المغربي، تتوزع أهمية العناصر التراثية من حيث الجذب السياحي على النحو الآتي:

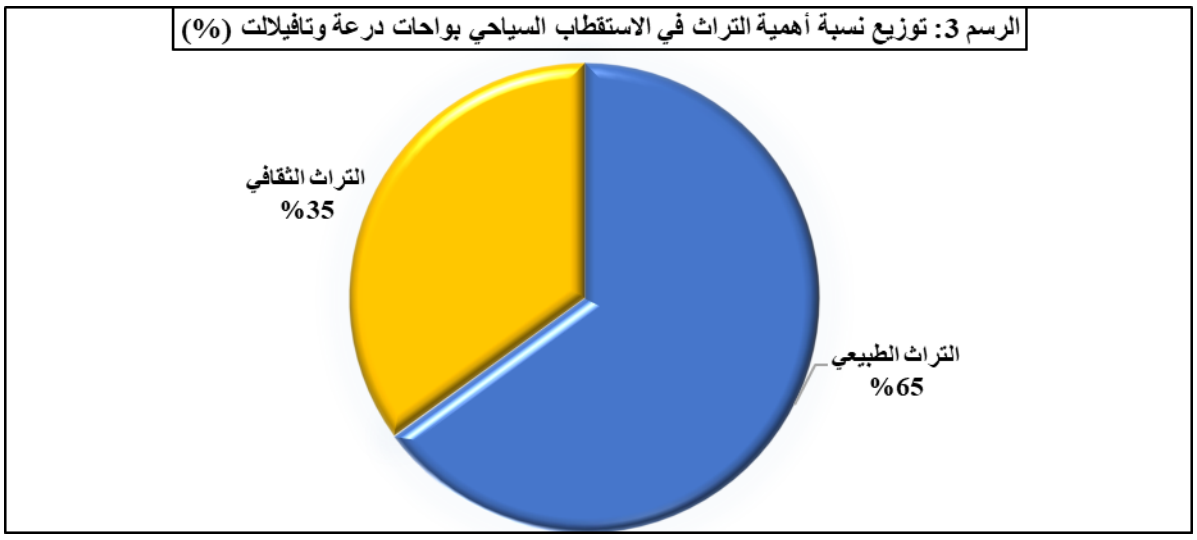

المصدر: معطيات البحث الميداني 2018 و2019

وانطلاقًا من المبيان أعلاه، تتضح مكانة التراث الطبيعي في الجذب السياحي في الجنوب المغربي، حيث تشكل الكثبان الرملية والمناظر الطبيعية والمناخ المحلي والتشكيلات الجبلية مقومات مغرية تستهوي 65 في المئة من مجموع السياح الوافدين على المنطقة؛ فيما لا يمثل التراث الثقافي المادي وغير المادي سوى 35 في المئة من مجموع دوافع زيارة السياح المستجوبين، بالرغم من موقعه الطلائعي في الصورة السياحية في مختلف وسائل التسويق، وقد يعزى ذلك إلى الاكراهات التي تعيق بعض منتجاته التراثية الأصيلة. وهذا يدفع للقول إن السائح يحاول اكتشاف الصحراء والواحة كمجال للمغامرة والتصوير السنيمائي (جفاف، كثبان، صفاء أديم السماء، إلخ) أكثر من رغبته في التعرف على الساكنة المحلية وفهم تراثها.

إنّ التدقيق في تحليل وتتبع مكانة عناصر الجذب التراثية سياحيًّا، يُظهر تباينات أخرى أكثر تفصيلًا، ما ينعكس على التوزيع المجالي للترددات السياحية في المنطقة. فالمجالات التي صنّفت وأهّلت مواقعها التراثية، وتمّ الاعتناء ببنياتها التحتية، تعرف استقطابًا سياحيًّا مهمًّا مقارنة بغيرها من المجالات الأخرى التي لم تحظ بالأهمية نفسها؛ وهذا ما نسجله ميدانيًّا حينما نقارن توزيع الترددات السياحية في علاقتها بالمواقع التراثية المصنفة الموجودة في واحات الجنوب المغربي.

فكلما عرفت المجالات الواحية تصنيفًا كبيرًا لمقوماتها التراثية، أضفى ذلك إشعاعًا سياحيًّا للمنطقة، وبالتالي تزايد أعداد السياح؛ كما هي حال قصر أيت بن حدو المصنف من طرف اليونسكو أو موسم

إميلشيل المصنف تراثًا وطنيًّا. وعلى المستوى الكمي، كلما كان المجال يحتضن أكبر عدد من المواقع المصنفة، عرف تزايدًا للطلب السياحي كما يبيّن الجدول الآتي:

جدول رقم 1: علاقة المواقع التراثية[23] بالتوزيع المجالي لعدد السياح الوافدين في واحات الجنوب المغربي في العام 2018

المجال الجغرافي	عدد المواقع المصنفة ضمن التراث العالمي أو الوطني	النسبة المئوية	عدد السياح الوافدين في المؤسسات المصنفة	النسبة المئوية
واحات درعة العليا (ورزازات- تنغير)	8	(%) 61.5	300 837	(%) 71
واحات تافيلالت (الراشيدية)	2	(%) 15.3	86 898	(%) 21
واحات درعة الوسطى (زاكورة)	2	(%) 15.3	14 813	(%) 6
ميدلت	1	(%) 7.69	9 338	(%) 2
المجموع	13	(%) 100	411 886	(%) 100

المصدر: اعتمادًا على معطيات البحث الميداني 2018 و2019، وإحصائيات وزارة الثقافة ووزارة السياحة للعام 2018

نستخلص من معطيات الجدول (1) أنّ واحات درعة العليا التي تحوي العدد الأكبر من المواقع التراثية المصنفة[24]، استطاعت أن تجذب نسبة 71 في المئة من التردادات السياحية البالغ عددها 411886 سائحًا، عكس المجالات التي لم تحظ إلا بتصنيف عدد محدود من المواقع التراثية، حيث تقلّ فيها التردادات السياحية إلى 2 في المئة فقط من مجموع السياح الوافدين في المؤسسات الفندقية المصنفة. وإلى جانب أهمية التصنيف الذي يعطي إشعاعًا مهمًّا لهذه المواقع، نجد عوامل عدة أخرى مساهمة في ذلك، منها ما يرتبط بجودة الخدمات والبنيات الفندقية، وأخرى متعلقة بولوجية المنطقة، وكذا دور الفاعلين السياحيين في الدعاية والتسويق السياحي للمجال.

علاوة على المقاربة الكمية، فإنّ التحليل الكيفي لمعطيات الميدان يوضح ارتباط الطلب على بعض المنتوجات والأنشطة السياحية مع نوع خاص من المقومات التراثية: فالتراث الديني ساهم في تنشيط السياحة الدينية ارتباطًا بالمواسم الدينية، والتي يصعب الحصول على إحصائيات دقيقة تهم عدد الزوار بها، والتي تبقى في غالبيتها مرتبطة بالسياح المغاربة. كما أن تنامي المهرجات الثقافية والفنية ساهم في تنامي السياح الأجانب في فترات غير معهودة، كما هي الحال لمهرجان تاركّالت لثقافة الصحراء نهاية فصل الخريف والذي يتوافق مع نهاية الموسم السياحي.

يكشف تحليل بنية الطلب السياحي[25] في واحات درعة وتافيلالت ارتباط النشاط السياحي محليًّا بأسواق خارجية. إذ تمثل السياحة الأجنبية 80 في المئة من مجموع الترددات السياحية الوافدة في المنطقة، وتحتل فيها السوق الأوربية النسبة الأهم بـ 60 في المئة لا سيّما منهم السياح الفرنسيون والإسبان والألمان بحكم عامل القرب والروابط التاريخية والسياسية؛ وتأتي السوق الأسيوية في المرتبة الثانية بنسبة 11 في المئة، خصوصًا الصين واليابان وروسيا؛ أما المرتبة الثالثة فتحتلها السوق الأميركية بنسبة 7 في المئة؛ في حين لا تمثل البلدان العربية سوى أقل من 2 في المئة من السياح الوافدين، وأغلب زوارها ينحدرون من دول الخليج، ويترددون على المنطقة قصد ممارسة هوايات القنص والرياضات الميكانيكية.

في مقابل أهمية السياحة الأجنبية في المنطقة، لا تمثل السياحة الداخلية سوى 20 في المئة من مجموع الترددات السياحية؛ وتتركز خلال فصل الربيع، وفصل الصيف الذي يزداد الإقبال فيه على ممارسة السياحة الاستشفائية (حمامات الرمال)[26].

في السياق نفسه، يركز أغلب الزوار على مواقع الجذب التراثية الأكثر شهرة على المستوى الوطني والدولي. وقد بيّن هال وبيجن (Hall & Piggin, 2001) "بأن أكثر من ثلثي مواقع التراث العالمي التي قام بمسحها، سجلت زيادة في عدد الزوار منذ اعتماد وضعها أو تصنيفها كتراث عالمي"، ومن ثم سيجلب ذلك استثمارات متعددة قصد تلبية حاجيات الطلب المتزايد، لأن "توطين وتوزيع البنيات الفندقية لا يحترم فقط توصيات وتشجيعات الدولة، بل يأخذ بعين الاعتبار الزبون وأذواقه ومتطلبات الوكالات السياحية الدولية"(Berriane 1991).

كما دفع تزايد أعداد السياح الوافدين على الواحات، العديد من الأسر والمهاجرين للاستثمار في بناء الفنادق والمطاعم والمآوي السياحية (مهدان 2013). وقد أكدت العديد من الأبحاث التي همت واحات الجنوب المغربي (Aït Hamza 1999) في واحة دادس، و(Bencherifa 1993) في واحة فكّيك، و(Naim 1996) في واحة تودغى، أن المهاجرين هم السبّاقون إلى تبني استثمارات جديدة واعتماد أنشطة اقتصادية لا علاقة لها بالنظام الواحي التقليدي كالسياحة، وذلك ارتباطًا بالعائدات التي تدرها الهجرة العمالية على العديد من الأسر في هذه المناطق.

2. مكانة التراث الطبيعي والثقافي في جلب الاستثمار السياحي

لا تقف أهمية التراث في المجال الواحي عند تنويع المنتوج أو تأهيل الطلب السياحي فحسب، بل شملت مجالات أخرى أكثر أهمية بحكم وقعها على الإنسان والمجال؛ فهي تهم التسويق الترابي للمجال وموارده المختلفة، ما يُسهم في تحسين جاذبية المنطقة من حيث استقطاب مشاريع واستثمارات سياحية وأنشطة تجارية وخدماتية مرافقة لها.

يشكّل تأهيل المواقع والمجالات التراثية في واحات درعة وتافيلالت عاملًا مهمًّا في تنمية الاستثمار السياحي، إلى جانب عوامل أخرى مرتبطة بمجهودات الفاعلين السياحيين وبتشجيعات ودعم الدولة في إطار سياسات الإعداد السياحي؛ خصوصًا أن السياحة تأتي في مقدمة الاختيارات المهمة التي تعمل على تثمين المناظر والمنتجات الفلاحية والحرف المحلية...إلخ (رامو وبوعوينات 2016، 25)، كما أنها أصبحت معطى ذا أهمية في المنطقة (Troin et al. 2006)، بعدما عجز القطاع الفلاحي عن تلبية متطلبات وحاجيات الساكنة المحلية.

الرسم 4: تطوّر عدد الاستثمارات الفندقية المصنفة في واحات الجنوب المغربي (درعة وتافيلالت)

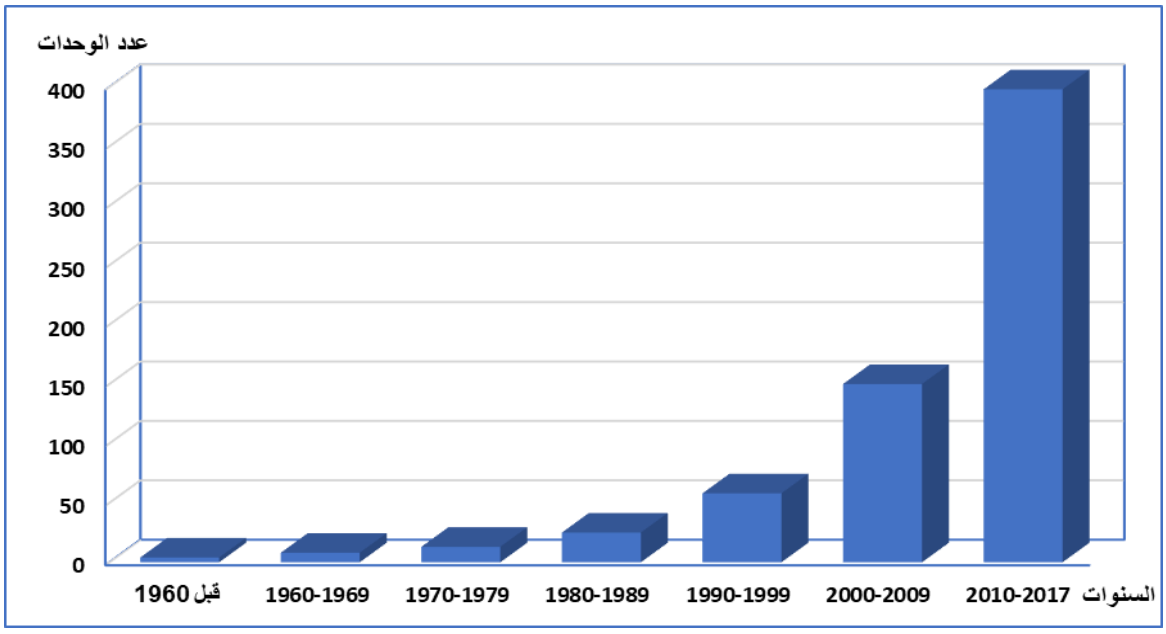

المصدر: العمل الميداني 2018 -2019، وإحصائيات مندوبية السياحة في إقليمي ورزازات والراشيدية، 2019

بيّنت الدراسة أن المنطقة استقطبت الاستثمارات الفندقية الأولى قبل ستينيات القرن الماضي، ويتعلق الأمر بما يعرف بالمآوي المرحلية التي بنيت استجابة لحاجيات خدام الإدارة الاستعمارية في واحات دادس-تودغى- درعة وتافيلالت (أوجامع 1999).

ورغم أن المنطقة أدرجت ضمن المجالات التي شملها برنامج تأهيل وإعداد المجالات السياحية ذات الأولوية خلال عقدَي الستينيات والسبعينيات، حيث استفادت من تجهيزات واستثمارات عمومية عدة متمثلة أساسًا في بناء 8 مؤسسات فندقية من أصل 11 وحدة أقامها المكتب الوطني للسياحة[27]، إلا أن الاستثمار الفندقي ظل يتطور ببطء حتى عقدي الثمانينيات والتسعينيات اللذين شهدا تطورًا ملحوظًا مقارنة بالعقود السابقة، بفضل قانون الاستثمار السياحي للعام 1983، الذي منح امتيازات وتحفيزات للمستثمرين الخواص الراغبين في تشييد بنيات فندقية بالمناطق الهامشية، وقد وصل عدد البنيات الفندقية نهاية هذه الفترة إلى 58 مؤسسة مصنفة.

لكن، مع بداية الألفية الثالثة وفي إطار استراتيجية تنمية السياحية القروية[28] عرف الاستثمار الفندقي تطورًا ملحوظًا وصل في العام 2010 إلى 188 مؤسسة، لتتضاعف بعد ذلك بشكل متسارع، حيث بلغت في العام 2018 حوالى 424 وحدة فندقية مصنفة، بزيادة 236 وحدة خلال 8 سنوات. بل وظهرت بنيات فندقية لم تكن معهودة قبل هذه الفترة (مآوٍ سياحية، دور الضيافة)، كانت أغلبها عبارة عن قصبات أو دور سكنية رُمّمت ووُظفت لتأهيل عروض الإيواء الفندقي (Aït Hamza 1999; Ramou 2009,195). الأمر الذي كان له وقع إيجابي على البنية الإيوائية في المجال الواحي، والذي سجل في العام 2018، نسبة 11.34 في المئة من مجموع المؤسسات الفندقية المصنفة في المغرب. وهذا ما يبرز الترابط بين المقومات التراثية والتنمية السياحية. كما شهدت هذه الفترة تزايدًا لتصنيف المواقع التراثية في المنطقة.

في الإطار عينه، وقصْدَ تقريب الصورة حول علاقة التراث الطبيعي والثقافي بالاستثمار السياحي نعرض نموذجين؛ الأول يبين مكانة موقع ذي أهمية بيئية وإيكولوجية في استقطاب مجموعة من الاستثمارات السياحية جنوب واحات تافيلالت (الرسم 5)؛ أما النموذج الثاني فَيُعْنى بإبراز دور موقع ثقافي مصنف كتراث عالمي في ورزازات، في جلب استثمارات سياحية (الرسم 6).

أ. مكانة عرق الشبي كتراث طبيعي في جلب الاستثمار السياحي

يقع عرق الشبي أقصى جنوب واحات تافيلالت في جماعة الطاوس. ويمتد على طول 32 كلم، وبعرض يفوق 15 كلم. وهو عبارة عن شريط من الكثبان الرملية (الدكاري 2007). صنف فيه موقع مرزوكة وضاية السرجي ضمن المواقع ذات الأهمية البيئية والإيكولوجية (SIBE).

ويُعدّ هذا العرق من أهم مواقع السياحة الصحراوية في المغرب؛ إذ يشهد ترددات سياحية مكثفة مقارنة بباقي المجال الواحي الأقل توظيفًا في الصناعة السياحية (أوجامع 1999؛ Popp, al. 2017; Bouaouinate 2009)؛ وبفضل تصنيفه في العام 2000، وكذا نتيجة دينامية الفاعلين السياحيين، استطاع أن يجلب العديد من الاستثمارات السياحية المتمثلة في عدد مهم من الفنادق بمختلف أصنافها، والمخيمات الثابتة والمتنقلة، والمآوي، كما تركزت فيه مئات البنيات التجارية والخدماتية الموازية لها، من المقاهي والمطاعم، ومحلات بيع منتوجات الصناعة التقليدية، وكذا وكالات النقل السياحي وتنظيم القوافل السياحية.

الرسم 5: خريطة توطين أهمّ الاستثمارات الفندقية في عرق الشبي (تافيلالت – الراشيدية)

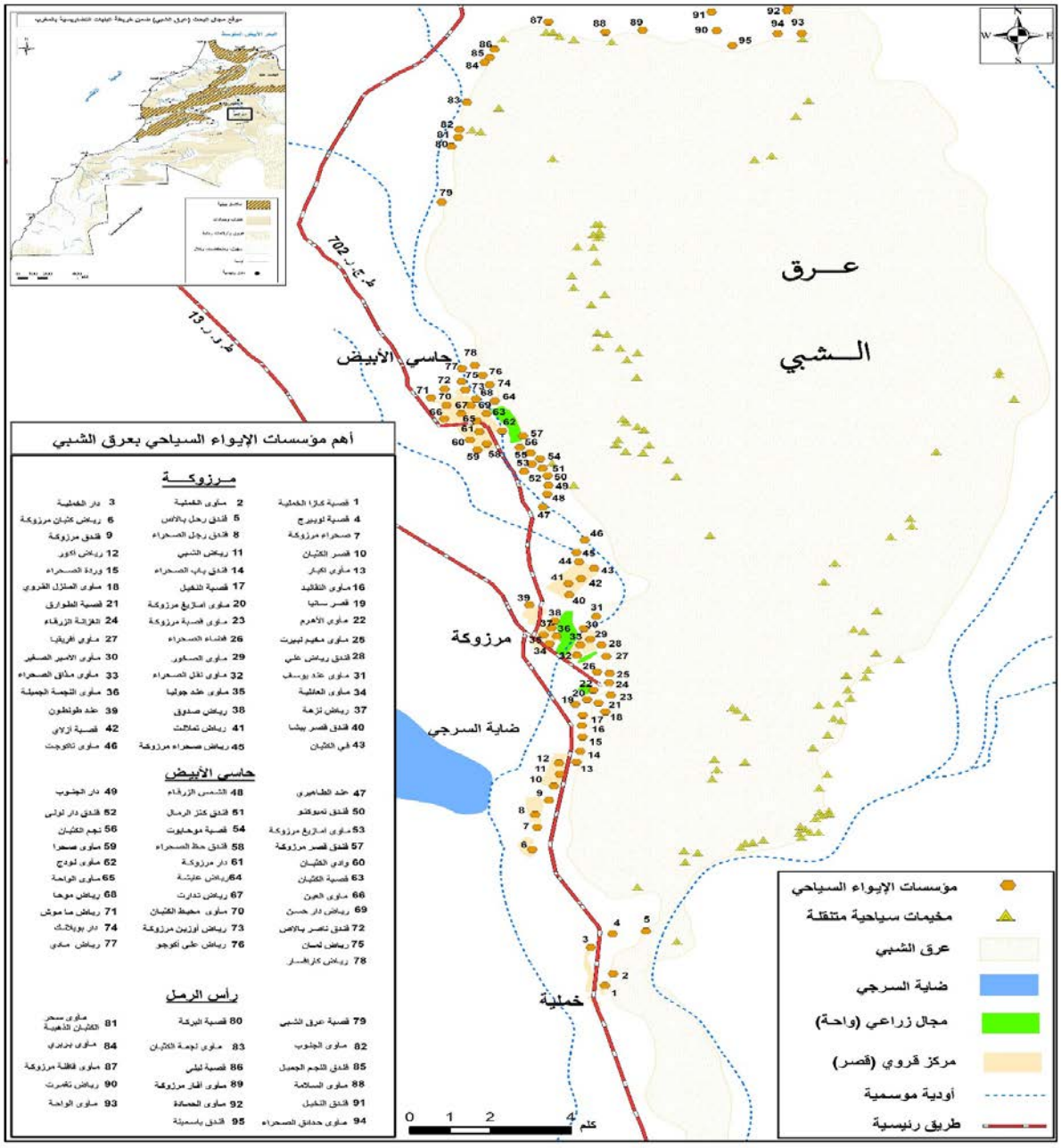

المصدر: عمل شخصي 2020، بالاعتماد على معطيات البحث الميداني 2018-2019، وصورة القمر الإصطناعي سبوت عالية الجودة سنة 2019

ب. أهمية موقع قصر أيت بن حدو كتراث عالمي جذب الاستثمار السياحي

يقع هذا الموقع على بعد 30 كلم شمال غرب مدينة ورزازات، وعلى مساحة تصل إلى 30. 3هكتارات؛ وقد صُنّف ضمن لائحة التراث العالمي في العام 1987م، كما صنف كتراث وطني بعد

ذلك في العام 2004؛ ويعدّ من بين أهم المعالم التراثية التي تُسهم في الجذب السياحي والسينمائي في واحات الجنوب المغربي.

في السياق نفسه، "أسهم التصنيف الذي حظي به هذا الموقع في القيام بترميمات معمارية أعادت الاهتمام والقيمة الرمزية للمعمار المبني بالطين، غير أن القيمة المضافة لهذا التصنيف، تكمن خاصة في الشحنة القوية للتشهير والإشعاع بالسياحة المحلية والتعريف بالمعمار، حيث أصبح أحد أهم مكونات الهوية المحلية للمنطقة" (Aït Hamza 1992 ;حليم ورامو 2018، 365).

وبفضل تزايد الترددات السياحية على هذا القصر الذي يستقطب حوالى 300 ألف زائر سنويًّا، سارع العديد من المنعشين السياحيين المحليين والأجانب، إلى إقامة استثمارات فندقية وأنشطة تجارية وخدماتية عدّة وسطه أو بالقرب منه، تتمثل في 14 مؤسسة فندقية[29]، وأزيد من 70 محالًا لبيع المنتوجات التقليدية "البزارات"[30]، إلى جانب عشرات المقاهي والمطاعم، وبعض وكالات النقل وتنظيم القوافل السياحية، ومتحف محلي.

كما نسجّل، بأن تنامي الاستثمارات الفندقية والأنشطة المرتبطة بها في قصر أيت بن حدو وهوامشه، نتجت منها تحولات مجالية ووظيفية، حيث ساهم ذلك في توسيع المجال المبني لمركز أيت بن حدو وتنظيم بنيته الداخلية؛ بالإضافة إلى خلق مهن ووظائف جديدة لم تكن معهودة إلا مع بروز الصناعة السياحية والسينمائية بالمنطقة.

لكن، بالرغم من إيجابيات التوظيف السياحي والسينمائي للتراث العمراني، إلا أن ذلك لا يستثني بعض التحولات الوظيفية التي أثرت في كنهه، من وظيفة سكنية واجتماعية تطبعها قيم حميمية وإنسانية راقية، إلى وظيفة إيوائية واقتصادية وتجارية يطغى عليها الطابع المادي (Aït Hamza 1992).

إضافة إلى ذلك، فالدينامية السياحية التي تشهدها المنطقة عبر استقبال تيارات سياحية كثيفة واستثمارات فندقية ضخمة، في غياب الضبط والتخطيط، تؤثر سلبًا على المنظومة الواحية الهشة بطبعها. وبالتالي، سيعاني المجال الواحي أكثر فأكثر من إشكالية التوفيق بين التنمية السياحية والحفاظ على الموارد البيئية والمائية على وجه الخصوص، على اعتبار أنه كلما تركزت الاستثمارات والأنشطة السياحية، إلا وتركز الطلب على الماء وتركز التلوث، ومن ثم التأثير على التوازنات المحلية (أعفير وأقديم 2005، 203).

الرسم 6: خريطة توطين أهم الاستثمارات الفندقية والأنشطة المرتبطة بها في مركز أيت بن حدو (ورزازات)

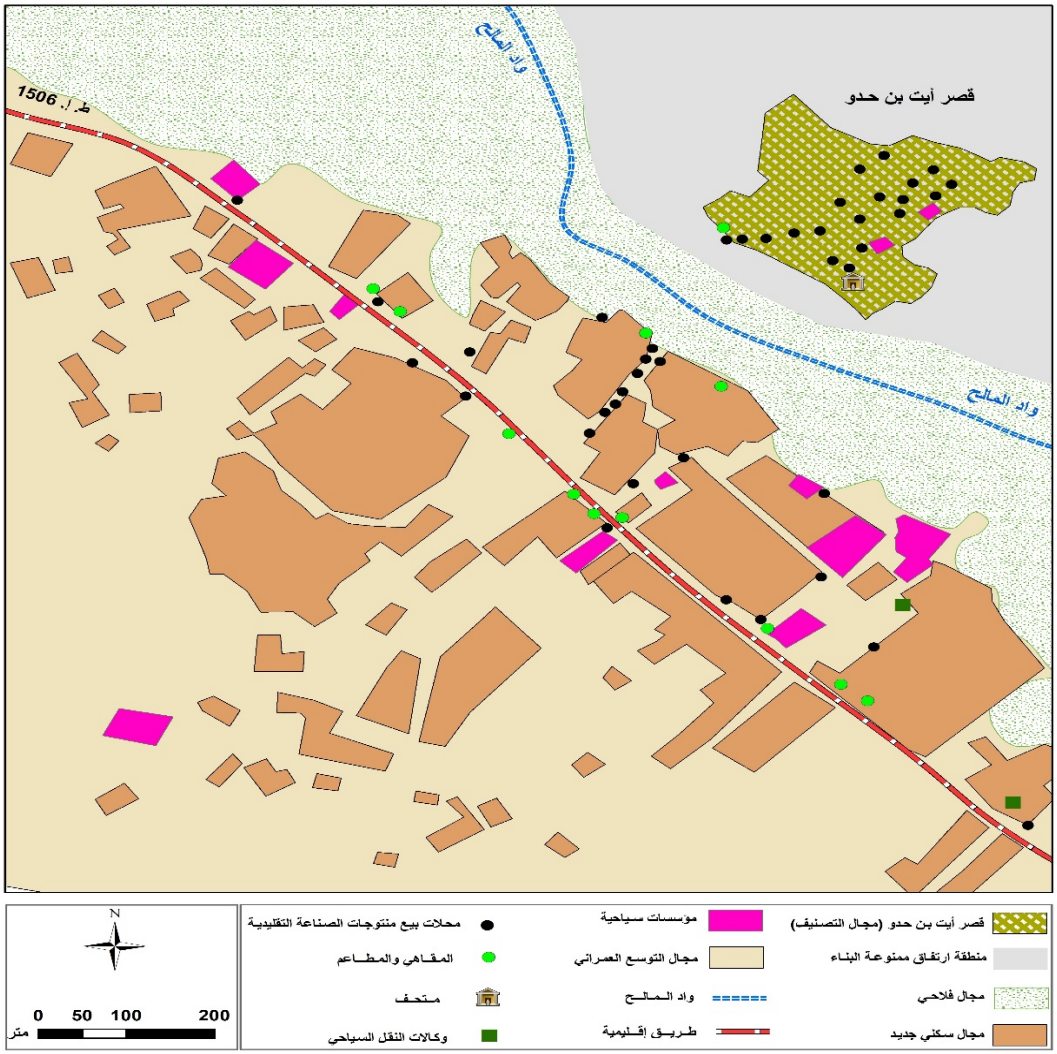

المصدر: عمل شخصي 2020، بالاعتماد على معطيات البحث الميداني 2019، وصورة القمر الإصطناعي سبوت عالية الجودة لسنة 2019

رابعًا: آثار أخرى لتوظيف التراث الواحي سياحيًّا وبعض العوامل المساهمة في ذلك

1. آثار أخرى لتوظيف التراث الواحي سياحيًّا

لم تقف أهمية التراث الواحي عند جلب الطلب والاستثمار الفندقي فحسب، بل فرض تعدد عناصره ومكوناته على المستثمرين والفاعلين السياحيين تنويع عروض الإيواء الفندقي (فنادق، ودور ضيافة،

ومخيمات تابثة ومتنقلة، ومأوٍ) بشكل يتماشى مع خصوصيات الوسط الطبيعي (الجبل، والواحة، ثم الصحراء) من جهة، وتلبية لرغبات وأذواق الزوار والسياح الوافدين من جهة ثانية.

وبالتالي فإن توظيف التراث سياحيًّا أثر على منظومة البنيات السياحية التي لم تعد مقتصرة على الفنادق؛ حيث ساهم ذلك في التعريف بالقصبات ودور الضيافة كوحدات سياحية معترف بها من طرف الوزارة الوصية. كما أنّ النشاط المتحفي الذي يصون ويثمّن التراث، أضحى نشيطًا في المجالات القروية[31] الواحية بعدما كان لعقود منحصرًا في المجالات الحضرية.

وباعتبار المنفعة المتبادلة بين التراث والسياحة، فقد أدّى التوظيف السياحي للتراث دورًا إيجابيًّا في إبراز العديد من الموارد التراثية الكامنة والتعريف بها، كما "ساهم بقسط وافر في تثمين مكونات التراث المعماري بالواحة بل ونقل المجتمع المحلي من مرحلة الإنتاج الزراعي إلى مرحلة الاستهلاك والاندماج على المستوى الوطني (Jarir 1999)"؛ وهو أمر تداعت تأثيراته لتمسّ مجمل المجال والوسط الذي توطنت فيه هذه الاستثمارات والأنشطة السياحية.

كما مكّن ذلك، من جلب منافع أخرى تتمثل في تحريك منظومة الاقتصاد الواحي (الفلاحة، والتجارة، والصناعة التقليدية، والنقل) بفضل الإنفاق السياحي للوافدين[32] والمستثمرين على حد سواء. ويبقى التشغيل السياحي أهم مكسب بالنسبة لمجتمع الواحة (رامو وبوعوينات 2016، 13)، عبر توفير فرص شغل مباشرة وأخرى غير مباشرة للشباب، مما مكّن نسبيًّا من تحسين مستوى عيش أفراد الساكنة المحلية، وكذا التخفيف من حدة الفقر والهجرة المستشرية في الواحات باعتبارها مجالات طاردة.

إلّا أن السياحة رغم ما يمكن أن تقدمه للمجتمع المحلي وللاقتصاد الواحي لا يمكنها حل كل المشاكل المتراكمة التي تتخبط فيها الواحة المغربية (بنعتو 2016، 96)، لأنها "نموذج تنموي يندرج في إطار منظومة اقتصادية عناصرها الوظيفية دياليكتيكية في إطار مجموعة من الأنشطة الأخرى المحدثة لها وبها"(بنعتو 2005، 33).

تبعًا لذلك كله، أضحى التراث عنصرًا مهمًّا في التنمية الترابية والسياحية بعدد من الواحات؛ ويتضح من خلال الدراسة الميدانية أنّ ذلك متمركز في واحات درعة وتافيلالت. بالمقابل نجد واحات أخرى، وبالرغم من تشابه وضعيتها التراثية مع الواحات السابقة الذكر، لم تعرف تنمية سياحية، مثل

واحات طاطا وكلميم وأسا. وهو ما يستدعى التساؤل عن الأسباب والعوامل المصاحبة للتثمين السياحي في واحات درعة وتافيلالت من دون سواها.

2. إسهام عوامل عدّة في دعم التوظيف السياحي للتراث في واحات درعة وتافيلالت

أ.مجهودات الدولة

بحكم تزايد الوعي الوطني والمحلي بالأخطار والتهديدات التي تلحق التراث في الواحات، بذلت الدولة مجهودات عدة من أجل صونه وتثمينه، وتجلى ذلك من خلال تحديث وتعزيز الإطار القانوني[33] والمؤسساتي[34] المتعلق بحماية وتثمين التراث الواحي؛ وإعداد مجموعة من البرامج التي عملت نسبيًّا على ردّ الاعتبار لعدد من المعالم والمواقع التراثية [35] نذكر منها برنامج التثمين المستدام للقصور والقصبات في واحات الجنوب[36].

وباعتبار النشاط السياحي من أهم القطاعات التي توظف عناصر التراث خدمة للتنمية الترابية، فقد ركزت الدولة على تثمين الموارد التراثية الجديرة بالاستعمال السياحي، منذ التخطيط السياحي الأول الذي أدرج واحات درعة وتافيلالت من دون غيرها من الواحات ضمن المناطق ذات الأولوية في الإعداد السياحي (ZAP)، نظرًا لغنى مؤهلاتها التراثية؛ بالرغم من أن الوضعية العامة التي لازمت هذه السياسة تكمن في التركيز المجالي للأنشطة والاستثمارات في الساحل والمدن العواصم (المولودي 2005، 19).

شكّلت أيضًا استراتيجية تنمية السياحة القروية 2003 تجربة أصيلة للتنمية والتهيئة السياحية في المجالات القروية الواحية والصحراوية في إطار إعداد مخطط عمل يهدف إلى تطوير"فضاء الاستقبال السياحي"PAT" (Berriane 2004, 104)؛ رغم محدودية نتائجها نظرًا للعديد من الاكراهات. كما أن بعض البرامج السياحية (برنامج التراث والموروث وبرنامج البيئة والخضرة) ضمن رؤية 2020 منح فرصة لبعض الواحات بأن تتموقع كوجهة رائدة للسياحة البيئية والسياحة الثقافية، بفضل غنى تراثها الطبيعي والحضاري والثقافي، إلا أنها ما زالت بحاجة إلى المزيد من التثمين والترويج السياحي.

ب. أهمية الصناعة السينمائية

تشكّل الصناعة السينمائية أحد القطاعات الأساسية التي تحظى بالاهتمام، نظرًا إلى الأدوار التي تؤديها على جميع الأصعدة، وذلك من خلال تنشيط الاقتصاد وإحياء الحضارات والثقافات، ولما لا إعطاء قيمة للمنتوجات والموارد التراثية التي تباع في الأسواق السياحية (أوجامع 1999). تُعدّ واحات الجنوب المغربي عمومًا ومنطقة ورزازات خصوصًا من أهم مواقع الصناعة السينمائية في المغرب، نظرًا إلى ما تقدمه من مقومات تراثية متنوعة، كالإضاءة الطبيعية المميزة، والتنوع التضاريسي، والمناظر والمشاهد المتعددة؛ إلى جانب الفضاءات المعمارية التقليدية.

كما توفّر المنطقة بنيات تحتية مهمة لقطاع السينما، من قبيل الاستوديوهات (ستوديو أطلس وستوديو كلا) وتجهيزات وآليات التصوير والمونتاج، ومطار ورزازات الذي يسهل عملية التنقل، ومتحف السينما؛ إلى جانب يد عاملة مؤهلة ذات خبرة وتجربة في الميدان، بفضل إدراج التكوين السينمائي في الكلية متعددة التخصصات في ورززات، التي أوكلت لها مهمة تكوين الأطر والتقنيين في هذا المجال.

كل هذه المؤهلات التراثية والبنيات التحتية كانت عاملًا مهمًّا في الاستقطاب السينمائي في المنطقة، والتي استهوت أنظار العديد من المخرجين والمنتجين السينمائيين العالميين منذ بداية القرن 20، وصُوِّرت فيها مئات الأفلام الوطنية والدولية[37]، "أهمها فيلم لورانس العرب في قصر أيت بن حدو في العام 1962 والذي فتح الباب على مصراعيه أمام الإنتاجات الضخمة، ما أدى إلى تصنيف ورزازات كأحد أهم أماكن التصوير في المغرب" (حليم ورامو 2018، 165).

نتج من تنامي القطاع السينمائي في المنطقة، حركية اقتصادية وسياحية، لا سيّما أن عائداتها تشكل موردًا مهمًّا يكمل عائدات السياحة (تروان وآخرون. 2006)، كما ساهم ذلك في تحريك قطاع التجارة والخدمات، وخلق فرص شغل مباشرة وغير مباشرة؛ إضافة إلى المساهمة في التعريف بالمنطقة وبخصوصياتها التراثية، إلى جانب تثمين القصور والقصبات.

نستخلص أن توظيف التراث الواحي في الصناعة السينمائية في المنطقة، أسهم في تسويق مؤهلاتها التراثية ومواردها السياحية على المستوى العالمي، الأمر الذي كان له وقع إيجابي على

مجالات عدة، من دون إغفال ما يترتب عنها من سلبيات على المستوى الثقافي والبيئي والسياحي كذلك، باعتبارها تسوّق صورة نمطية ومشوهة لحقيقة ما تزخر به واحات الجنوب المغربي.

ج. مجهودات الفاعلين السياحيين المحليين (نموذج مشروع "طريق المجهول")

أسهمت العديد من المبادرات المحلية من طرف الفاعلين السياحيين في تثمين عناصر التراث الواحي وتوظيفها في الصناعة السياحية؛ عبر تقديمها للزوار بشكل يجسد حقيقة ما تزخر به الواحة من منتوج تراثي متميز، يستحق العناية والاكتشاف؛ ومن ذلك نذكر مشروع "طريق المجهول"[38](الرسم 7) الذي يُعدّ نموذجًا متميزًا يمكن تعميمه في الواحات المغربية.

يهدف مشروع "طريق المجهول" الذي تمّ تصوره في إطار برنامج واحات تافيلالت (POT) إلى تثمين التراث الواحي عبر استثمار موارده في تنمية السياحة البيئية في واحات وصحراء تافيلالت، بطريقة تخدم التنمية المحلية وتحفظ في الآن ذاته خصوصيات المنظومة الواحية؛ حيث تقوم فكرته، على أساس تأهيل بعض الأنشطة السياحية وفق مسار سياحي (طريق سياحية)، يعرض خدمات متعددة، تدمج مختلف المواقع التراثية في المنطقة.

الرسم 7: خريطة الطريق السياحي "المجهول" في تافيلالت

المصدر: برنامج واحات تافيلالت POT

ساهم هذا المشروع نسبيًّا في التخفيف من موسمية النشاط السياحي التي تعرفها الواحة، لكونه لم يقتصر على تسويق الوجهة السياحية كمحطة واحدة، بل كمنظومة من المواقع والموارد التراثية التي تمنح الزائر التعطش للمزيد من الاستكشاف، بدل الملل الذي قد يخلقه مسار رتيب ينتظر السائح وصوله النهائي لوجهته السياحية المقصودة (رامو وبوعوينات 2017، 48). كما ساهم في التسويق الترابي للمجال الواحي والتعريف بخصوصياته المتميزة.

نستشفّ بناءً على ما سبق، أنّ واحات درعة وتافيلالت استطاعت إلى حدّ ما أن تثمّن وتوظف مواردها التراثية، وتصبح وجهة سياحية متميزة، ويظهر ذلك من خلال تزايد عدد الزوار والاستثمارات الفندقية في مجالها. لكن، رغم ذلك، فالإكراهات التي تهدد التراث الواحي، والتحديات التي تعيق التنمية السياحية في المنطقة تطرح العديد من التساؤلات حول مستقبل التنمية في هذه الواحات إن لم تُتّخذ الإجراءات والتدابير اللازمة.

خامسًا: خلاصات واستنتاجات

بناءً على ما سلف من المحاور، نعرض أهم الخلاصات والاستنتاجات التي توصّلنا إليها في ما يتعلق بدور التراث الطبيعي والثقافي في تنمية الاقتصاد السياحي في المجال الواحي:

- تزخر واحات الجنوب المغربي بتراث غنيّ ومتنوع، أهّلها كي تحصل على الاعتراف الدولي والوطني بقيمة مواردها التراثية المتميزة، حيث سجّلت العديد من المواقع والمعالم التراثية فيها، ضمن التراث الوطني أو التراث العالمي، الأملا الذي كان له وقعٌ إيجابي على المنطقة من حيث التعريف بها وتسويق مواردها ومنتوجاتها السياحية.
- تتضح الأهمية السياحية للتراث الواحي أكثر، في المجالات التي تتركز فيها المواقع التراثية المصنفة دوليًّا ووطنيًّا بالمقارنة مع غيرها من المواقع، لأنّ عمليات التصنيف تساهم في التسويق الترابي للمجال والتعريف به، بل تعطيه إشعاعًا يخدم الجاذبية السياحية.
- شكّل تعدُّد مقومات التراث الطبيعي والثقافي في المنطقة مادة دسمة للعرض السياحي، من حيث تنويع المنتوجات والأنماط السياحية الممارسة في المجال الواحي كالسياحة الصحراوية، والسياحة الجبلية، والسياحة الواحية، ثم السياحة الثقافية، والسياحة السنيمائية.

- تتضح مكانة التراث الواحي على مستوى الطلب، من خلال جذب آلاف الزوار والسياح من جنسيات مختلفة، تتعدّد رغباتهم وأهدافهم، ما يجعل توزيعهم الجغرافي في مجال الدراسة يختلف من موقع تراثي إلى آخر؛ حيث يزداد في المجالات والمواقع التراثية الأكثر شهرة، ويتركز أيضًا في المواقع التي حظيت بعمليات التصنيف والتأهيل كقصر أيت بن حدو في منطقة ورزازات على سبيل المثال.

- يوفر تنوع الموارد التراثية طلبًا داخليًّا وخارجيًّا مهمًّا، أسهم في دوره في جلب مجموعة من الاستثمارات الفندقية بمختلف أنواعها وأصنافها (424 وحدة مصنفة، وأزيد من 265 وحدة غير مصنفة)، ظهرت بالقرب منها بنيات خدماتية وتجارية متعددة كالمقاهي والمطاعم، ووكالات النقل وتنظيم الأسفار السياحية، والمتاحف، ومحالات بيع مواد الصناعة التقليدية.

- أصبحت للتوظيف السياحي للتراث في واحات الجنوب المغربي، تداعيات مختلفة على الإنسان والمجال، من قبيل تحريك عجلة الاقتصاديات المحلية، ما ساهم في تحسين مستوى عيش الساكنة المحلية، وخفف نسبيًّا من نسب البطالة والفقر. كما ساهم هذا التوظيف، في ردّ الاعتبار للعديد من عناصر ومكونات التراث الواحي.

- أسهمت العديد من العوامل والتدخلات في الدفع بتوظيف التراث في تنمية الاقتصاد السياحي في المنطقة، وهذا ما يفسر جانبًا من الدينامية السياحية التي تعرفها واحات درعة وتافيلالت، مقارنة بغيرها من المجالات الواحية (طاطا، وكلميم، وأسا) في المغرب.

لكن، ورغم الأهمية التنموية للتراث في المجال الواحي، فإنّ الاكراهات المرتبطة بالعامل البشري أساسًا (مدى استباحة الثقافة كسلعة، حساسية القطاع لمتغيرات المحيط السياسي والاقتصادي والوبائي) والتحديات المتعلقة بوقع التقلبات المناخية وقساوة الظروف الطبيعية (ندرة الموارد المائية وحدة التنافس حولها) تهدّد استمرارية التنمية في المنطقة. وهذا الوضع، يستوجب التعامل معه وفق رؤية تشاركية، من أجل وضع استراتيجية محكّمة تستهدف عمليات: الحفظ، والصيانة، وإعادة الاعتبار، والترميم، والتثمين؛ وبالبحث عن السبل الكفيلة بتوظيف التراث ليس فقط في تنمية القطاع السياحي، وإنما أيضًا في تأهيل منظومة الاقتصاد الواحي بشكل عام.

ختامًا، نؤكّد أن تثمين واستثمار موارد التراث الطبيعي والثقافي التي تزخر بها الواحات، لا يزال محدودًا مقارنة بمكانته ووزنه على المستويَين الوطني والدولي، ما يستدعى بذل المزيد من الجهود وفق مقاربات مندمجة، وذلك بهدف جعل اقتصاد التراث محركًا للتنمية السياحية والترابية في الوسط الواحي.

الهوامش

[1] تم تنفيذ هذه المنشورة (بشكل جزئي) بدعم من المجلس العربي للعلوم الاجتماعية في إطار منحة مقدمة من مؤسسة كارنيجي في نيويورك لبرنامج الزملاء الناشئين في دورته الخامسة. إن التصريحات والآراء الواردة هنا، تندرج ضمن مسؤولية المؤلف وحده.

[2] ليس في نيتنا الدخول في النقاش الدائر على المستوى الإبستمولوجي حول ماهية التراث، بقدر ما نسعى إلى تبيان أهمية التراث بمختلف موارده في التنمية السياحية، من حيث إغناء المنتوج السياحي وجلب الزوار والاستثمارات السياحية.

[3] شمل هذا البرنامج (Zones d'aménagement prioritaire) إعداد وتأهيل 5 مناطق ذات أولوية سياحية منذ المخطط الثلاثي 1967/1965 تتمثل في: خليج طنجة، والشاطئ التطواني، وخليج الحسيمة، وخليج أكادير، والجنوب الكبير (ورزازات - الراشيدية – زاكورة- تنغير).

[4] ثمّة أسماء عدة تطلق على هذا المجال الواحي من طرف المتخصصين في الجغرافيا نذكر منها: "الجنوب الداخلي" أو "الجنوب الكبير" أو "الجنوب الشرقي"، ويضم أساسًا الواحات المنتشرة في جهة درعة -تافيلالت على ضفاف وجنبات أودية: درعة، وزيز، وغريس، وكير، وتودغى، ودادس، ومكّون؛ ومنها تستمد هذه الواحات أسماءها.

[5] ميثاق أثينا (1931) الصادر عن معهد التعاون للجمعية الدولية، والذي يؤكد الحفاظ على التراث الفني والأثري والمعالم المهمة كتراث عالمي لكل الإنسانية، وحمايتها واجب على الدول المهتمة بالحضارة. وميثاق البندقية (1964) أو الميثاق العالمي للحفاظ وترميم المعالم والمواقع، والذي يحدد العديد من المفاهيم وكذا تقنيات الترميم والصيانة.

[6] المدينة العتيقة في فاس في العام 1981، والمدينة العتيقة في مراكش في العام 1985، وقصر أيت بن حدو في العام 1987، والمدينة العتيقة في مكناس في العام 1996، والمدينة العتيقة في تطوان في العام 1997، وموقع وليلي الأثري في العام 1997، والصويرة في العام 2001، والمدينة البرتغالية في الجديدة في العام 2004.

[7] برنامج ترميم وإعادة تأهيل المآثر التاريخية ومعالجة السكن المهدد بالانهيار في المدينة العتيقة لفاس مثلًا.

[8] خصوصًا الظهير الشريف المؤرخ في 13 فبراير 1914 المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والنقائش والتحف الفنية والعاديات للمملكة الشريفة، وحماية الأماكن المحيطة بالمآثر والمواقع والمعالم الطبيعية؛ الظهير الشريف المؤرخ في 21 يوليو 1945 المتعلق بالحفاظ على المباني التاريخية والنقائش والتحف الفنية والعاديات وحماية المدن العتيقة والمعمار الجهوي؛ القانون رقم 22.80 المتعلق بالحفاظ على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحق الفنية والعاديات.

[9] يشمل التراث الواحي كل الموارد التراثية الطبيعية والثقافية الموجودة في الواحة؛ لأن هذه الأخيرة إن كانت محض عطاءً طبيعيًّا، فإن الذي رتب وأبدع هو الإنسان، في إطار مشهد مركب طبيعي وثقافي يحكي اجتهاد آلاف السنوات من الكد والعمل (الفاسي 2016

.213). كما أننا نتحدث عن هذا التراث في إطار مجموعة من الموارد التي يرغب أغلب السياح في اكتشافها والتعرف إليها في جولاتهم السياحية في المنطقة.

[10] ثمّة أسماء عدة تطلق على هذا المجال الواحي من طرف المتخصصين في الجغرافيا نذكر منها: "الجنوب الداخلي" أو "الجنوب الكبير" و"الجنوب الشرقي"، ويضمّ أساسًا الواحات المنتشرة في جهة درعة- تافيلالت على ضفاف وجنبات أودية: درعة، وزيز، وغريس، وكير، وتودغى، ودادس، ومكّون؛ ومنها تستمد هذه الواحات أسماءها.

[11] نخص بالذكر: مدير مركز ترميم وتوظيف التراث المعماري في المناطق الأطلسية وما وراءها في ورزازات (CERKAS)، ومدير برنامج التثمين المستدام للقصور والقصبات في وزارة السكان والسكنى في الرباط، ومندوب السياحة في ورزازات، وكذا بعض رؤساء الجمعيات المدنية التي لها صلة بالموضوع كرئيس جمعية أيت عيسى للثقافة والتنمية في قصر أيت بن حدو، بالإضافة إلى مقابلات أخرى مع بعض القيمين على المتاحف ومحالات بيع منتوجات الصناعة التقليدية.

[12] بناءً على الإحصائيات الرسمية الصادرة عن وزارة السياحة للعام 2018.

[13] المادة 2 من مشروع قانون إطار حول الميثاق الوطني للحافظ على التراث الثقافي الوطني وحمايته وتثمينه للعام 2013، وزارة الثقافة.

[14] تم اكتشاف حفريات أقدم ديناصور مائي "سبينوصور" معروف في العالم في منطقة زريكات في واحات تافيلالت، من طرف فريق دولي يضم علماء حفريات من دول مختلفة. وقد نُشرت نتائج هذا الاكتشاف في العدد الأخير (29 أبريل 2020) للمجلة العلمية "Nature".

[15] تُعدّ منطقة تافيلالت من أغنى المناطق عالميًّا بالمستحثات، خصوصًا على مستوى حمادة كمكم ومواقع أرفود وأمسيصي وألنيف، والتي تشتهر عالميًّا باحتضانها مستحات أكبر الديناصورات عالميًّا "Carcharodontosaurus saharicus"، إضافة الى موقع إمي ولاون الذي يشتهر بتازودا والذي منح اسم المنطقة للتصنيف العلمي لديناصور "Tazoudasaurus Naïmi".

16 - Sites d'Intérêts Biologique et Ecologique (S.I.B.E).

[17] - المادة 2. 2013. مرجع سابق. ص 2.

[18] "القصر أو إغرم شكل من أشكال السكن الجماعي المميز للواحات كقرية محصنة ومحاطة بسور مبني من الطين، عالٍ وسميك. فهو مجموعة منازل متلاصقة في ما بينها لتشكل سكنًا متراصًّا ومحاطًا بسور تتخلله مجموعة من الأبراج، وله مدخل وحيد للتحكم ومراقبة الحركة حول القصر. أما القصبة التي تتميز بهندسة خاصة، فتظهر كمنزل محصن بهندسته الدفاعية وبمختلف أشكال التزيين الهندسية التي تؤثث أجزاءه العلوية. كما تنفرد بعلوها الذي يتجسد في طابقين أو ثلاثة" (حليم 2010). وقد أكد الباحث محمد أيت حمزة أن هذا المعمار تشتهر به الواحات الجنوبية الممتدة بين الأطلس وتخوم الصحراء بدءًا بوادي درعة الأسفل والأوسط مرورًا بتافيلالت حتى فكّيك، بل إن القصور تجد استمرارًا لها في الصحراء الكبرى في كل من الجزائر وتونس وليبيا.

[19] اقتصاديات الثقافة. 2016. تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي. ص 42. http://www.ces.ma/Documents/PDF/Auto-saisines/2016/av25/rpas25a.pdf

20 - Réserve de Biosphère des Oasis du Sud Marocain (R.B.O.S.M).

[21] هي اتفاقية دولية وقعت في مدينة رامسار الإيرانية في العام 1971، ودخلت حيز التنفيذ 21 ديسمبر 1975، تهدف إلى تشجيع الحفاظ والاستعمال العقلاني للمجالات الرطبة.

[22] عناصر التراث الواحي حاضرة في الدلائل الإشهارية، وفي مواقع وكالات الأسفار الوطنية والعالمية، فحسب 116 صورة أحصيناها في مواقع سبع وكالات سياحية وطنية ودولية (Holiday Services، Marocco Holidays tours، Viaje a marruecos، Sahara Experience ، Maroc Experience، Sahara tour Trips، Maroc horizon d'aventurs)، بلغت نسبة حضور التراث الواحي 30.5 في المئة ضمن باقي مكونات التراث الوطني.

[23] تهمّ قصر أيت بن حدو كتراث عالمي في العام 1987، ومواقع أخرى كتراث وطني تتجلى في: موقع هضبة البحيرات في العام 1941، ومرتفعات بوكّافر وخوانق دادس ووديان واحاتي تودغى ومكّونة في العام 1943، أما قصبتا تاوريرت وتيفولتوت فقد صُنفتا في العام 1954، وقصبة القايد علي في أكدز في العام 1998، وقصر أيت بن حدو في العام 2004. كما تم أخيرًا تسجيل كل من مدينة سجلماسة الأثرية في العام 2017، وقصبة أمريديل في العام 2018 ضمن التراث الوطني.

[24] للإشهار والسياحة المرتبطة بصناعة السينما دور مهمّ في عملية الجذب نحو هذه المواقع.

[25] حسب نتائج البحث الميداني للعام 2019.

[26] في مقابلة مع رئيس جمعية حمامات الرمال في زاكورة في تاريخ 20 غشت 2019، أقر لنا أن الجمعية تستقبل أزيد من 1000 زائر مغربي خلال فصل الصيف من كل سنة، خصوصًا منهم القادمين من مدن الدار البيضاء والرباط وأكادير وطنجة، من أجل أخذ حمامات الرمال في العروق الرملية في المنطقة، التي تستغل في الاستشفاء من بعض أمراض الجلد والمفاصل.

[27] تتجلى هذه الوحدات الفندقية في: فندق أزغور في ورزازات في العام 1966، وفندق صاغرو في تنغير في العام 1965، وفندق تنزولين في زاكورة في العام 1968، وفندقي ورود دادس في قلعة مكّونة والمضايق بومالن في العام 1972، وفندق الزات في ورزازات في العام 1973، ثم فندق سجلماسة في أرفود في العام 1965 وفندق الريصاني في الراشيدية في العام 1972.

[28] دراسة أنجزت من طرف المنظمة العالمية للسياحة حول آفاق تطوير السياحة في الأرياف المغربية، وتهدف إلى إخراج المجال القروي من عزلته وتنميته عن طريق إنجاز العديد من التجهيزات والاستثمارات التنموية التي تسهم في تحسين مستوى عيش الساكنة المحلية، وفي الوقت نفسه تعمل على رد الاعتبار لمكونات وموارد المجال القروي وجعلها إحدى ميزات استدامة الجذب السياحي طيلة السنة (حليم 2010).

[29] تتمثل هذه المؤسسات حسب التحريات الميدانية للعام 2019 في: 5 وحدات فندقية مصنفة (فندق القصبة، ومأوى وردة الصحراء، وفندق مأوى البركة، ومأوى قصر أيت بن حدو، ثم قصبة "valentine")، و9 وحدات غير مصنفة (منها قصبة "Tebi" ودار ضيافة "Dar El Haja" داخل القصر؛ و7 وحدات الأخرى في المركز القروي القريب منه: مأوى بلال، ورياض "Mactoub"، ومأوى تملالت، ودار ضيافة نوفلا "Nouflla"، ودار ضيافة "عند إبراهيم"، ومأوى " Etoile filante D'or "، دار ضيافة "Mouna").

[30] منها 50 محالًا داخل القصر.

[31] أحصينا حسب التحريات الميدانية 28 متحفًا قرويًّا في المنطقة، تتوزع مجاليًّا كالآتي: 10 متاحف في واحات درعة العليا (ورزازات، وتنغير، وسكورة)، و9 متاحف في واحات تافيلالت (أرفود، ومرزوكّة، والريصاني، والخملية)، و6 متاحف في واحات درعة الوسطى (أسرير، ومحاميد الغزلان، وأمزرو، ومزكيطة). إضافة إلى ثلاثة متاحف في إقليم ميدلت.

[32] يتوزع مجموع إنفاق الفئة المستجوبة من سياح الرحلات غير المنظمة كما يأتي: 33 في المئة للإقامة، و23 في المئة للمطعمة، و23 في المئة مخصصة للنقل، و8 في المئة لشراء منتوجات محلية، و6 في المئة للمرشد أو المرافق، و4.5 في المئة لزيارة المتاحف أو استيديوهات السينما، ثم 2.5 في المئة تهم مقتنيات أخرى.

[33] نذكر من ذلك مشروع قانون الميثاق الوطني للحفاظ على التراث الوطني الثقافي وحمايته وتثمينه الذي تقدمت به وزارة الثقافة في العام 2013، والذي يعد الأول من نوعه، حيث جاء لمحو النقص واللبس القانوني المتعلق بحماية التراث الوطني؛ "ويتضمن قوانين وإجراءات توازي بل تضاهي من حيث مضامينها أحدث القوانين العالمية المتعلقة بالتراث" (الدكاري 2019، 200).

[34] كإنشاء مركز ترميم وتوظيف التراث المعماري في المناطق الأطلسية وما وراءها في ورزازات (CERKAS)، وكذا الوكالة الوطنية لتنمية مناطق الواحات وشجر الأركان (ANDZOA).

[35] في مقابلة مع مدير مركز ترميم وتوظيف التراث المعماري في ورزازات يوم 29 يونيو 2019، أقر بأنّ بعض العمليات والتدخلات التي همت ترميم وتأهيل القصور والقصبات في المنطقة، لم تحترم الخصوصيات المحلية للهندسة المعمارية التقليدية، خصوصًا في ما يتعلق باستعمال مواد دخيلة على البناء الطيني المحلي، وكذا عدم احترام الزخارف والرسوم المنقوشة على هذه المعالم.

[36] كبرنامج التثمين المستدام للقصور والقصبات (2015-2025)، الذي يُعدّ ثمرة شراكة بين وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ويهم أنشطة ميدانية نموذجية تروم ترميم ورد الاعتبار لفائدة 16 من القصور والقصبات في الجنوب المغربي، مع الإسهام في تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية لساكنتها، وتقوية قدرات الفاعلين المحليين الجماعيين والجمعويين بهدف تبني عمليات التثمين المستدام لهذه المواقع.

[37] نذكر منها: فيلم "Thé au sahara" في العام 1950 في قصر تامنوكالت، وفيلم "d'Arabie Lawrence" في قصر أيت بن حدو في العام 1962، وفيلم "شهرزاد" في ورزازات في العام 1987، وفيلم "Gladiateurs" في العام 1999، وفيلم "بابل" في العام 2006 في ورزازات، وفيلم "Prince of Persia" في العام 2008.

[38] يضم هذا المشروع عشرات الفاعلين السياحيين، الذين ينتظمون في جمعية منعشي السياحة البيئية في تافيلالت. أما اسم المجهول فهو أحد أشهر وأجود أنواع التمور في واحات تافيلالت، والتي يحاول الفاعلون السياحيون تسويقها بطعمه.

البيبليوغرافيا

1. الكتب

أيت حمزة، محمد. 2016. **ملامح التحولات السوسيومجالية بحوض أسيف أمكون**. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. مطبعة المعارف الجديدة – الرباط.

البوزيدي، أحمد. 1994. **التاريخ الاجتماعي لدرعه-مطلع القرن 17 -مطلع القرن 20- دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية**. صدر الكتاب بدعم من مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء. أفاق.

بلفقيه، محمد. 1978. **أولويات في الجغرافية الزراعية**. منشورات اللجنة الوطنية للجغرافية، الرباط.

جون، فرنسوا تروان، ومحمد بريان، وعبد القادر قيطوني، ومحمد الناصري، وعبد الله العوينة، وعبد القادر كعيوة، وفلورانس تروان. 2006. **المغرب مقاربة جديدة في الجغرافية الجهوية.** الطبعة الأولى. دار طارق للنشر 321. طريق الجديدة، الدار البيضاء، المغرب. (مترجم من الفرنسية).

دالين ج. تيموثي، وستيفن و. بويد. 2011. **السياحة التراثية**. ترجمة عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني. منشورات جامعة الملك سعود، كلية السياحة والآثار. النشر العلمي والمطابع. (تاريخ النشر الأصلي 2003).

مهدان، امحمد. 2013. **التحولات الاجتماعية والتنمية، دراسة في النظام المائي لواحة تودغى**. منشورات جامعة ابن زهر أكادير. طباعة ونشر سوس-أكادير.

2. المقالات

أزهار، محمد. 1993. "الإنسان والبيئة في الواحات السهبية القاحلة واحة ميسور نموذجا (المغرب الشرقي)." **المجال والمجتمع بالواحات المغربية**. سلسلة ندوات رقم 6. كلية الآداب والعلوم الإنسانية في مكناس:127-149.

أعفير، مصطفى وأقديم، إبراهيم. 2005. "السياحة والتنمية المستدامة من خلال إشكالية الماء في المجال الواحي: واحة دادس نموذجا (ورزازات)." **دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب**. (تنسيق موسى كرزازي والمختار الأكحل). منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط. سلسلة ندوات ومناظرات رقم 121. الطبعة الأولى، مطبعة النجاح في البيضاء: 195-216.

أكومي، توفيق وفاتح، عبد العالي. 2008. "التراث الثقافي: نحو مقاربة جديدة لبناء مفهوم الجهة الثقافية بالمغرب." **نحو استراتيجية لتخطيط التنمية المجالية في العالم العربي بأبعادها المحلية والقومية والعالمية**. (تنسيق محمد الأسعد). الجزء الثاني. منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة، الرباط: 641-665.

أيت حمزة، محمد. 1993. "التوازن الإيكولوجي الواحي بين التنافس والتكامل." **المجال والمجتمع بالواحات المغربية**. سلسلة ندوات رقم 6. كلية الآداب والعلوم الإنسانية في مكناس: 77-96.

الفاسي، إدريس. 2016. "التوازنات البيئية بواحات الجنوب المغربي." **تنظيم وتهيئة المجال الريفي بالمغرب، أبحاث وتدخلات**. (تنسيق الأكحل المختار، وفاتح عبد العالي، وحنزاز محمد). منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط/المعهد الوطني للتهيئة والتعمير/ معهد الدراسات الإفريقية. سلسلة ندوات ومناظرات رقم 186. الطبعة الأولى: 209-216.

الدكاري، عبد الرحمان. 2019. "أهمية الموارد التراثية في تثمين الأنشطة السياحية، مدخل لاقتصاد التراث." **المجال التراب والمجتمع بالمغرب، تحولات ديناميات ورهانات،** (تنسيق أزهار محمد وعبد الحميد ابن الفاروق، وأسماء بوعوينات، ومصطفى وادريم). منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية في المحمدية: 195- 207.

العباسي، حسن. 2019. "التراث بدكالة بين مقومات التنوع وشروط الإسهام في إعداد وتنمية التراب المحلي." ورد في: **المجال التراب والمجتمع بالمغرب، تحولات ديناميات ورهانات،** (تنسيق أزهار محمد وعبد الحميد ابن الفاروق وأسماء بوعوينات ومصطفى وادريم). منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية: 209- 217.

المولودي، محمد. 2005. "السياحة والتنمية المحلية بزيز الأسفل." مجلة دفاتر جغرافية. **السياحة والتنمية بالمغرب: تساؤلات وانتظارات**. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس. العدد الثاني: 19-32.

بنعتو، محمد. 2016. "النموذج الحضري الواحي والإستراتيجية السياحية المغربية: أية علاقة؟ حالة الواحات الجنوبية والحدودية." **الواحات رهانات التنمية المستدامة بالمغرب الصحراوي**. (تنسيق السامي عبد المجيد، وبوجمعة بوتوميت، وحسن رامو). منشورات مركز الدراسات الصحراوية، الرباط: 65-100.

بنعتو، محمد. 2005. "السياحة رافعة للتنمية الجهوية بالمجالات الصحراوية وشبه الصحراوية." مجلة دفاتر جغرافية، **السياحة والتنمية بالمغرب: تساؤلات وانتظارات**. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس. العدد الثاني: 33-39.

تاوشيخت، لحسن. 2020. "من حاضرة سجلماسة إلى قصور تافيلالت." ورد في: **مدن وحواضر مغربية**، مجلة المناهل. العدد 98. منشورات وزارة الثقافة. مطبعة دار المناهل، الرباط: 236-298. تمت زيارة الصفحة في 25 نيسان/أبريل 2020. https ://www.minculture.gov.ma/wp-content/uploads/2020/04/Manahil-98-F.pdf

حليم، عائشة، وحسن رامو. 2018. "قصور درعة الأوسط: السيرورة التاريخية وإشكالية التهميش والتثمين." ورد في: **التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة**. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. (تنسيق محمد أيت حمزة ونوحي الوافي). مطبعة المعارف الجديدة، الرباط. 253- 271.

رامو، حسن، وأسماء بوعوينات.2017. "التراث الثقافي لواحات الجنوب المغربي وآفاق التثمين من خلال الطرق السياحية: دراسة مقارنة لتافيلالت وأقاليم طاطا وآسا – الزاك." ورد في مؤلف جماعي بعنوان: **واحات المغرب الصحراوي التراث الطبيعي والثقافي وآفاق التثمين**. (تنسيق رامو حسن، وعبد المجيد السامي، وبوجمعة بوتوميت، ومصطفى ندروي، وسعيد توتاي). منشورات مركز الدراسات الصحراوية، الرباط: 43-59.

رامو، حسن، وأسماء بوعوينات. 2016. "الواحات المغربية من مجال مركزي إلى مجال هامشي: أية بدائل." مؤلف جماعي: **الواحات رهانات التنمية المستدامة بالمغرب الصحراوي**. (تنسيق السامي عبد المجيد، وبوجمعة بوتوميت، وحسن رامو). منشورات مركز الدراسات الصحراوية، الرباط: 43-59.

شارلز، لاندري. 2007. "لندن كمدينة إبداعية." ورد في: **الصناعات الإبداعية**. ترجمة بدر السيد سليمان الرفاعي. سلسلة عالم المعرفة. الجزء الثاني. منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت: 27-40. تمت زيارة الصفحة في 26 نيسان/أبريل 2020. https ://download-literature-pdf-ebooks.com/47358-free-book

محي الدين، محمد. 1999. "النظام الواحي بين تدهور الموارد الطبيعية وضعف المؤهلات البشرية والسياحية كحافز تنموي: حالة واحة فم زكّيد بدرعة السفلى." **السياحة في الميزان**. سلسة الندوات رقم 11. جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في مكناس: 57-79.

3. الرسائل والأطروحات

أوجامع، عبد الرحمان. 1999. "السياحة والمجال بالجنوب الداخلي: نموذج ورزازات الراشيدية (بين اختيارات المخططين والواقع الحالي)." بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافية وإعداد المجال. غير منشورة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال.

الخليفي، عبد اللطيف. 2017. "الدينامية السياحية بواحات درعة الوسطى بين رهان التنمية المحلية وتحديات المحافظة على الموارد الطبيعية." أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا غير منشورة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء.

الدكاري، عبد الرحمان.2007. "السياحة الريفية بالمغرب، مظاهر إعداد المجالات السياحية بأرياف أسيف ملول وعرق الشبي ومساهمتها في التنمية البشرية." أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا غير منشورة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط.

حليم، عائشة. 2010. "السياحة القروية والتنمية المحلية بإقليم زاكورة." أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع غير منشورة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط.

4. التقارير والنشرات الإحصائية

وزارة السياحة: النشرة الإحصائية. 2018

وزارة الثقافة والاتصال: المخطط التنفيذي للبرنامج الحكومي، قطاع الثقافة. 2017.

منوغرافية جهة درعة – تافيلالت. 2016.

منشورات وزارة الثقافة؛ مجلة الإحصائيات الثقافية. 2016. العدد الثاني.

5. مراجع باللغة الأجنبية

Aït Hamza, Mohamed. 2014. " Patrimonisation et touristification d'Ait-Ben-Haddou." In, *Patrimoine et tourisme culturel au Maroc*. EL Fasskaoui B. & Kagermeier A. (Coord) Actes du 9ème colloque maroco-allemand, Meknès, 2014. Pub. FLSH, Univ. My Ismaïl. Série Actes de Colloques, N°43.147- 153.

Aït Hamza, Mohamed. 2013. "Les architectures en pisé: identité et modernité." In, Aït Hamza M. & Nouhi El Ouafi (Ed). *Préservation et valorisation du patrimoine matériel culturel de la Région Souss Massa- Draâ*. IRCAM. Rabat.

Aït Hamza, Mohamed. 2008. " Tourisme rural et développement durable au Maroc." In Acte du colloque international sur *le tourisme, secteur de l'économie de substitution et de développement durable*. Alger les 12 et 13 avril 2008. Pub. (Version provisoire) Dir. Ali Hadjiedj & Jocelyne Dubois-Maury. Université Houari Boumedian. Pp.67-73.

Aït Hamza, Mohamed, Herbert Popp**.** 2004. "La randonnée culturelle dans le Jbel Saghro (Sud Maroc)." Edité à l'Université de Bayreuth en Allemagne. **Carte plus Notice**. Edition française.

Aït Hamza, Mohamed. 2002. "Mobilité socio-spatiale et développement local au sud de l'Atlas marocain (Dades- Todgha)." Thèse de Géographie. Fac Let. Univ. M.5. 1999. 1ère Ed. Maghreb – Studien, Heft 13, 196 p. 6 cartes hors texte. L.I.S. Verlag, Passau. 2ème Ed. IRCAM, Rabat, 2015.

Aït Hamza, Mohamed. 1999 (a). "Tigammi n'Iromiyne: tourisme et conflit culturel dans le Haut Atlas central." In. *Le Tourisme au Maghréb. Diversification du produit et développement local et régional*. Edité par M. Berriane et H. Popp. Série Colloques et Séminaires N° 79. Pp.195-200.

Aït Hamza, Mohamed. 1992. “Projet de Réhabilitation du Ksar Ait Ben Haddou.” MAC/ Centre de Conservation et de Réhabilitation des Kasbas du Sud (CERKAS) Ouarzazate. P.N.U.D.MOR/90/00/003. 2ème phase. Fev.92. (Rapport).

Aït Hamza, Mohamed. 1991. “ Irrigation et stratification socio-spatiale dans une oasis sans palmier: le cas du Dadès.” Ouvrage collectif. *Aspects de l'agriculture irriguée au Maroc*. Edité par El Alaoui My. Ismaïl et P. Carrière, Montpellier: 71-85.

Bencherifa, Abedllatif. 1993. “Note sur les systèmes hydro agricoles oasiens et leurs changements récents.” *In Espace et société dans les oasis marocaines*. Série colloques 6, Univ. Moulay Ismaïl, FLSH Meknès: 5-17.

Bencherifa, Abedllatif. 1993. “Migration extérieur et développement agricole au Maroc: Etat de la connaissance, observations empiriques récentes et perspectives de recherches futures.’’ RGM.N°1 et 2, Vol 15: 51-92.

Berriane, Mohamed. 2004. “A propos de la stratégie national de développement du tourisme rural : le concept de Pays d’Accueil Touristique.” In Saigh Bousta, R et Albertini, F (Sous la direction). *Le tourisme durable : Réalités et perspectives Marocaines et Internationales*, Univ. Cadi Ayad. FLSH, Marrakech: 101-105.

Berriane, Mohamed. 1991.Tourisme. Phase préparatoire du Schéma National d’Aménagement du territoire. Aménagement Touristique. Rapport provisoire, PNUD-DAT.

Bouaouinate, Asmae. 2009. “les acteurs locaux du tourisme de désert au Maroc : Cas de l'erg Chebbi et de Zagora-M'hamid.” Thèse de doctorat (PhD), FBCG, Université Bayreuth ; Allemagne. https://epub.uni-bayreuth.de/534/1/Asmae.pdf

Hall, C.M and piggin, R. 2001. “Tourism and world heritage in OECD countries.’’ *Tourism Recreation Researh*, 26(1): 103-105.

Hensens, J .1986. *Qsours et Qasbas du Maroc: réflexion sur l’habitat rural traditionnel*. Prix Aga Khan d’Architecture :1-37.

Jarir, Mohamed. 1999. “La croissance du Tourisme et ses effets limites au Tafilalt.” *le Tourisme en question*. Série colloques, N°11, Univ Moulay Ismaïl, FLSH Meknès: 71-81.

Jennan, Lahsen, Pierre-Antoine Landel, Nicolas Senil. 2007. "Le patrimoine: une ressource pour le développement territorial." *Expériences de mise en œuvre des pôles d'économie du patrimoine au Maroc. Rev cahiers géographiques*, N° 3-4 : 11-20.

Mezzine Larbi. 1987. *Le Tafilalt Contribution à l'Histoire du Maroc aux XVIIe et XVIIIe siècles.* Publications de la FLSH-Rabat. Imp: NAJAH EL-JADIDA. Casablanca. https://archive.org/details/le-tafilalt

Meunié, J. D., 1962. *Architectures et habitat du Dades: Maroc présaharien.* Paris C. Klincksieck.

Ministre de l'Agriculture, du Développement Rural et des pêches Maritimes. 2009. "Plan cadre de gestion de la Réserve de Biosphère des Oasis du Sud Marocain.'' volume I, Rapport principale, 469 P.

Moudoud, Brahim. 2000. "Production et gestion du Tourisme de montagne au Maroc." Thèse de doctorat. Université Joseph Fourier, Grenoble I.

Ouhajou, Lakbir. 1986. "Espace hydraulique et société au Maroc. Cas des systèmes d'irrigation dans la vallée du Dra." Thèse de géographie. Montpellier III. Editée FLSH, Univ. Ibn Zohr, Agadir, 1996. 343 P.

Popp H, & Aït Hamza M. 1999. Trekking- Tourismus im Zentralen Hohen Atlas – Beispiel für "sanften Tourismus"? in Lokale Akture im Tourismus der Maghrebländer. Maghreb – Studien 12. By Herbert Popp. Passau. Pp. 191-207 (en Allemand).

Popp Herbert & Aït Hamza Mohamed. 2000. "*Trekking-Turismus im Hohen Atlas. Beispiel für nachhaltigen Turismus in ienerPeripherregion**?**"* In Geographishe Rundschau, Heft 2, 2-10. Plus **Carte et notice** (en Allemand).

Popp H. et Aït Hamza M. 2004. "Kultur- Trekking imDschbel Saghro (Südmarokko)." Univ de Bayreuth. Allemagne (**Carte + notice**) Edition Allemande.

Popp Herbert, Aït Hamza Mohamed, El Fasskaoui Brahim. 2011. *Les Agadirs de l'Anti-Atlas occidental. Atlas illustré d'un patrimoine culturel du Sud marocain*. Naturwissenschaftliche Gesellschaft, Bayreuth: 500 p.

Popp Herbert, Aït Hamza Mohamed, El Fasskaoui Brahim. 2013. *Carte touristique de l'Ant-Atlas Occidental*. Naturwissenchafliche Gesellschaft, Bayreuth. Allemagne.

Ramou Hassan. 2009. "Le tourisme oasien au Maroc: Etat des lieux et défis.'' Dans *L'environnement oasien face aux mutations économique et sociales: Le cas de Figuig.* Publications de L'IRCAM, Imp. El Maarif Al Jadida -Rabat: 189-203.

Terrasse, Henri. 1938. *Kasbahs Berbères de L'Atlas et des Oasis: Les grandes architectures du Sud Marocain*. Paris: Editions des Horizons de France.